Orient. Seminar
UNIVERSITÄT
78 Freiburg / Br.
Inv.
Az 14 / 8

المقتطف ٧

الجزء الأول من المجلد الخامس عشر بعد المئة

١ يونيه سنة ١٩٤٩ ٤ شعبان سنة ١٣٦٨

طوفان القدم

صراع بين اللاهوت والعلم

— ٤ —

انتصار العلم

الجهد الأخير في سبيل التوفيق واكتمال النصر للعلم

جهاد كارل فون رومر وبجز وغيرهما — الشهادة الواقعية التي نمت عنها الكهوف والقيعان الزاحفة في قدم الانسان — جهاد جوس في سبيل انقاذ التفسير الحرفي لسفر التكوين — جهود اللاهوتيين في القارة الاوربية — محاولة غلادستون في سبيل التوفيق — مكلي وكانون درايفر يقضيان على هذه المحاولة — الاسقف ستانلي والمهادنة بين العلم والكتب المقدسة .

قبل أن ندخل في ختام هذا البحث ، يحسن بنا أن نمضي قليلاً في الكلام في بعض محاولات أملاها اليأس ودفع إليها القنوط ، رمى بها أولئك الذين حاولوها ، الوصول الى هدنة أو تفاهم . وهي ظاهرة نأنسها دائماً عند ما يقترب وقت انتصار العلم في أي عراك له مع الدين ، ويلوح انتصاره فيه محتوماً واقعاً . من هذه المحاولات بل ومن أخصها ما قام به كارل فون « رومر » سنة ١٨١٩ . فبكثير من دعوى

المعرفة العلمية التي تختفي وراءها أغراض وآمال حددتها اللاهوتية الجرمانية ، جهد محاولاً أن يؤلف مقالة فيها من الغموض والتعمية بحيث يمكن أن يغشى على حقائق المشكلات العلمية . ظهرت هذه المقالة في صورة نقاش كان قد لجأ بعضهم إليه من قبل ، ليبرهنوا به على أن الحفريات التي عثر بها في الطبقات الفحمية لم توجد قط حية ، وانما هي « نتيجة نماء أجنة نباتات ناقصة » . وهذه النظرية بذاتها ، على غموضها وعمائها ، قد اتخذت سبيلاً الى تعليل الحفريات الحيوانية ، من غير أن تنظر بأي اعتبار الى الأدوار الزمانية المتطاولة ، والتغايرات التي يثبت العلم الجيولوجي أنّ هذه الحفريات قد تقلبت فيها حتى وصلت الى حالها الحاضرة .

في سنة ١٨٣٧ نزع « بجنر » الى الأخذ بهذه النظرية أو بالحري هذا التفسير . ولكنّ سطحيته وغثاثته ، كانت من الظهور بحيث اعتقد الناس أن مقولاته ليست أكثر من عبارات خاوية فارغة ، لا تحمل من الحق شيئاً ، وسرعان ما رفضت وأضيفت الى المنسيات .

في انحاء مختلفة من أوربا ، قامت محاولات أخرى مشابهة لهذه . ولقد شهدت انجلترا أعظم هذه المحاولات وأكثرها إثارةً للذهن . ففي سنة ١٨٥٣ نشرت رسالة بعنوان « النقض الصريح لنظرية الجيولوجيين المنافية للأناجيل » ، أحيا فيها مؤلفها نظرية قديمة نفث فيها روحاً جديدة . أما هذه النظرية فتتلخص في قوله : « إن كل العضويات التي يعثر بها في أعماق الأرض قد صنعت في اليوم الأول من أيام الخلق ، لكي تتخذ نماذج للنباتات والحيوانات التي سوف تُخلَق في الثالث والخامس والسادس من تلك الأيام » .

وبينما كانت هذه المحاولات على أشدها ، وقد رمت جميعاً الى صون النظرية القديمة في الحفريات ، ظهر على مسرح الفكرة الحديثة في الجيولوجيا ، زمرة جديدة

من العلماء كانت أشد خطراً وأنكى أثراً على العقائد القديمة من كل من تقدمها من زمر الباحثين .

ففي أواخر الربع الأول من القرن التاسع عشر ، بدأ الجيولوجيون ينقبون في الكهوف والقيعان التراكبية في سطح الأرض . وبعد سنين قلائل ظهرت منظومة من المستكشفات بدأت في فرنسا ثم في بلجيكا وانجلترا والبرازيل وصقلية والهند ومصر وأمريكا ، فكان من شأنها أن تدعم حقيقة أن الأرض أهلت بالانسان منذ أزمان أوغل في القدم من الأزمان التي قدرت لذلك من قبل . أمّا التاريخات التي وضعها رئيس الأساقفة « يوشر » و « بوسويه » و « بيتافيوس » وغيرهم من أعلام اللاهوتيين ، فقد وضح أنها فاقدة القيمة ولا غناء فيها . ولقد بان بجلاء أنه مهما يكن من أمر تلك المذاهب واستنادها الى تاريخات العهد القديم وتراجم البطارقة ، فإنما هي في حكم العدم . ولقد اضطرّ أكثر الجيولوجيين جنوحاً الى المحافظة والاعتدال الى الاعتراف بأن الإنسان قد ظهر من فوق الأرض في زمان مبكراً جدًّا ، لا منذ ستة آلاف أو ستين ألف أو مئة وستين ألف سنة ، بل قبل ذلك بأحقاب . وفي سنة ١٨٦٣ سقط آخر معاقل اللاهوتيين عند ما أعلن سير « شارلز ليل » في كتابه « قدم الانسان » رجوعه عن فكرته القديمة ، وعبّر عن ذلك في جمل مثيرة لأسمى العواطف الإنسانية .

إن المؤيدين للنظرية القائمة على نص الكتب المقدسة ، أولئك الذين بدءوا بالعدوان ومارسوه زماناً طويلاً ، قد انقلبوا في النهاية مدافعين عن قضية اكتنفتها أخطار جمة شديدة . ولقد تنقلوا في دفاعهم من موقع الى موقع . وقد يتفق أن يكون الجهد الذي بذله ”جوس“ في انجلترا سنة ١٨٥٧ ، هو أشق الجهود وأحقها بالعطف والاشفاق . فقد أدى هذا الرجل لعلم الحيوان خدمات جليلة ،

ولكنه حصر كل همه فيما بعد ، وعبأ كل جهده في تأييد التفسير الحرفي لسفر التكوين ، وما أقام اللاهوت عليه من شامخ البناء . وفي كتابه المسمى « السُّرة » (١) عاد كرّة الى النظرية التي قال بها قبل « غرانفيل بن » فنمّاها بأن أُضاف إليها مبدأ آخر سماه ،، خطأ التاريخ ،، ، ملخصه أن كل الأشياء قد خلقت بيد الله القادر في ستة أيام محدَّدة ، لكل منها ،، مساء وصباح ،، وان كل تفاصيل الخلق قد أصبحت كائنة بعد ان لم تكن في برهة واحدة . ولما كان قد آمن بما قرر دكتور ،، أور ،، Ure إذ قال بأنه ،، لا العقل ولا الوحي يبرران أن نُمدَّ أصل النظام المادّي من حيث الزمان إلى أكثر من ستة آلاف سنة من أيامنا الأرضية ،، (٢) فقدمضى ،،جوس،، يقول بأن البراهين المقامة على حدوث تقلصات وتغايرات في طبقات الأرض والصخور والمعادن والحفريات إنما هي ،، ظواهر ،، لا أكثر من هذا ولا أقلّ . ومن هذه ،، الظواهر ،، التي خلقت معاً وفي برهة واحدة ، تلك الأخاديد الجليدية والخموش التي ترى على الصخور ، والعلامات الدالة على تراجع الصخور كما يرى في ،، نياجرا ،، والطبقاتِ الملتوية والمصدّعة بأنواعها ومختلف صورها في جميع أنحاء الأرض ، وعمدان الحمم التي قذفتها البراكين المندثرة ، وطبعات أقدام الطير والزواحف في الصخور ، والبقايا نصف المهضومة المخلفة عن الحيوانات الضعيفة في معدات الحيوانات الحفرية الكبيرة ، والعلامات التي تركتها أسنان الضباع في العظام المستحجرة المتناثرة في كثير من الكهوف ، وهيكل الموث السبيري المحفوظ في ،، سان بطرسبرغ ،، (٣) بما في لحمه من آثار أسنان الذئاب — كل ذلك بما يعتوره

---

(١) Omphalos من كلمة يونانية Oupalos ومعناها السرة أو الحبل السري

(٢) Prochronism : من اليونانية Xpo = قبل + Xponos = أي زمن ، ومعنى المصطلح خطأ في التاريخ برد الشيء الى زمان قبل زمانه المعترف به . (٣) الآن لينتغراد .

من الفجوات الزمانيـة التي تفصلها ، أراد ,, جوس ،، أن يحمل العقـل البشري ويلزمه أن يسلم بأنها خُلقت في برهة بعينها كأنهـا لمحٌ بالبصر . أما مقـدمة الـكتاب فان فيها كثيراً مما يثير ويهز العاطفة . وقد اختتمها بدعاء توسل فيه أن يكون كتابه سـبباً في أن يقع التفاهم بين العلم والدين وان ,, إلـه الحق إذا شاء أن يكون لـكتابه هذا الأثر ، ونفذت مشيته ، فله الحمد والمجد والملـكوت ،، . قال في ختام الكتاب : ,, لقد طهر الحقل ومُـهد الطريق للشاهد الأعلى الذي يطل علينا من الناحية الأخرى من العالم،،والذي يقول في شهادته — ,, في سـتة أيام صنع ,, يهوه ،، الأرض والبحر وكل ما فيهما ،، . وقد طبع هذه العبارة بحروف كبيرة ، كأنما هو يشير الى إنهـا آخر مايقال في نفي كل الحقائق الجيولوجية التي وصل إليها العلم .

في أنحاء أخرى من أوربا بذلت جهود اليأس في زمن متأخر على الزمن الذي وقع فيه ما قصصنا، وقد رمت جميعها الى تأييد النص الحرفي للـكتب المقدسة باصطناع نظرية هي من جميع الوجوه أعجب النظريات التي أريد بها مقاومة العلم. ومن أجل أن تصب هـذه النظرية في قالب يلائم الضرورات التي استجدّت في المعرفة ، عمد اللاهوتيون الى متن غامض ,, لأيوب ،، أشير فيه الى النار التي هي تحت الأرض ، وتصورات تأمليـة غير واضحة المعـالم نشرها ,, همبولد ،، و ,, لابلاس ،، ، ومزج هـذا كله بجرعات من المأثورات العبرانية ، ومن هـذا المزيج استخلص ,, شوبرت ،، فكرة محصلهـا أن ,, مناطق النفوذ والفورات الشيطانيـة ،، التي كانت تغشى من قبل عالمنا هـذا ، قد رمت به في وهدة العماء الصرف ، ثم تجدد خلقه ثانية ليتخلص من هذا العماء بطريقة شرحها سفر التكوين شرحاً بيناً دقيقاً . أما ,, روجمون ،، فقد جعل الأرض نجماً من نجوم ,, الصباح ،،

التي ذكرها "أيوب"، وأن "إبليس" وأتباعه قد ردّوا هذا النجم الى العماء والفوضى الصرف، ومن ثمَّ أخذت الأرض تتنشأ ثانية بمقتضى المبادىء التي قررتها النظرية السديمية (١) أما "كورتز" فقد ذهب مذهباً عجيباً، فقال إن الاضطرابات الجيولوجية إنما ترجع الى مقاومة الشيطان لله ذى القدرة العلوية عند ما أراد أن ينقذ الكون من العماء. كذلك صاغ "دليتشه" نظرية أخرى ألبسها ثوباً جعلها أقرب الى الفكرة المدرشية. ولكن مظاهر الجهد واليأس لم تظهر في شيء من هذا كله ظهورها في أقوال دكتور "وسترماير" التي نشرها في "ميونخ" بعنوان — "براءة العهد القديم من المعارضات الكونية الجديدة" والعبارة التي تنقلها فيما يلي كافية لاظهار متجهه وفكراته: قال: "من أجل أن يثمر رَفّ (٢) الروح القدس على سطح مياه العمق الأعظم، فبدأت قوى الخالق تتحرّك وتضطرب. ورأى الشياطين الذين قطنوا عالم الظلام البدائي واتخذوه لهم مقاماً وملكاً أبديًا، إنهم سوف يطردون من ملكوتهم هذا، أو على الأقل أن موطنهم سوف يختزل ويصغر، فحاولوا أن يفسدوا الفكرة التي وضعها الله للخلق، وأن يبذلوا أقصى ما بقي لهم من قوّة وجلد، حتى يعرقلوا، أو على الأقل يشوّهوا، الخلق الجديد". وبذلك ظهر في هذا العالم: "تلك الهولات المخيفة المخربة، التي هي تشويهات وتحريفات لنظام الخلق السويّ". ومنها تخلفت الآثار الحفرية. ثم يمضي دكتور و "سترماير" مثبتاً — "أن أجيالاً برمتها خلقها الله ثم وقعت فريسة مفاسد الشيطان ووساوسه، ولذا كان من الضروري أن تزول تلك الاجيال وتندثر". ثم يقول — "وفي عمل ستة أيام استطاع الله أن يجعل الشيطان

---

(١) نظرية لابلاس في نشوء النظام الشمسي

(٢) من عبارة في سفر التكوين

يلمس قدرته الشاملة ، ويرد محاولات « إبليس » تعيسة فائلة ،، . !!!

على هذه الصورة كان الهجوم الأخير في المانيا على تلاع العلم الجيولوجي . وائتماماً بهذه النزعة وبغيرها من النزعات المماثلة لها ، حاول ،، يوهان سلْبَر شِلاَج ،، سنة ١٨٧٠ أن يقيم قواعد الجيولوجيا على طوفان نوح ، فواجه من الصعاب ما حمله على أن يقول في عبارات مؤثرة ، إنه يود ، لو استطاع ، أن يرجع الى نظرية أن الحفريات هي ،، ألهيات الطبيعة ،، .

غير أن أعظم الجهود التي بذلت في سبيل أن يظل العلم الجيولوجي في حيّز النصوص المقدسة ، قد وقع في زمان أحدث من ذلك . ففي سنة ١٨٨٥ اقتطع مستر ،، غلادستون ،، من وقته جزءاً صغيراً منه ليخوض المعركة منتصراً لنص سفر التكوين على المقررات الجيولوجية ، برغم مشاغله وواجباته بوصف أنه الزعيم البرلماني في انجلترا .

بحسب الظاهر لاح جهده ذاك كأنه الى التطفل أقرب شيء ، فإنه اعترف في مفتتح كلامه أنه من حيث العلم ،، مجرد كل التجرد من تلك المعرفة التي تحمل في ثناياها الثقة واليقين ،، وسرعان ما دلت تحقيقاته وبراهينه على أن اعترافه كان جديًا من جميع الوجوه .

غير ان ،، غلادستون ،، كان يتحلى بصفات أخرى قد يمكن أن تنتج شيئاً . كان فارهاً في صياغة الجمل ، بارعاً كل البراعة في تكييف معاني الكلمات المفردة بحيث تلائم الضرورات المتضاربة عند الجدل ، قادراً كل القدرة على إقامة بناء شامخ من البرهان على أصغر الحقائق وأدنئها ، مُيَسَّراً له أن يزيح من طريقه الحقائق المزعجة التي تعترضه بقوّة تفسيرية خارقة . ولقد كانت فراهته في ذلك مضرب المثل ، حتى أن ساخراً في صحيفة لندنية ، قد نصح رجلاً متزوجاً من

امرأتين ، أن يتوسل الى مستر „ غلادستون “ عساه يمنّ عليه بازاحة إحدى زوجتيه .

أقام „ غلادستون “ صرحه اللاهوتي الجيولوجي على دعوى أن في سفر التكوين „ تقسيماً رباعيًا رئيساً “ يتناول الأحياء ، وإنه قد „ وضع في تتابع زماني نظيم “ وان هذا النظام وذاك التتابع قد رتبا على الصورة التالية :

« أولا : مخلوقات الماء . ثانياً : مخلوقات الهواء . ثالثاً : مخلوقات الأرض من الحيوان . رابعاً : مخلوقات الأرض مختتمة بالإنسان » .

الخطوة التالية التي خطاها « غلادستون » هي أن يزلق في ثنايا بحثه فرضاً يقوم على الأساس السابق ، كان في ظاهره بريئاً لاخطر فيه ، ومحصله أن هذا التقسيم . „ قد أيده البحث الطبيعي في هذا العصر ، حتى لقد يمكن أن يتخذ على أنه نتيجة مفروغاً منها وحقيقة لا مبدّل لها “ .

وراح في النهاية يقيم على هذه الأسس برهاناً مقتطعاً من الملابسات التي اصطنعها وربط بها بين الكتب العبرانية المقدسة والحقائق التي كشف عنها العلم تأييداً لذلك التقسيم الرباعي وما أقام عليه من نتائج ، ومن هذه الطريق سهل عليه أن يصل الى الغرض الذي رمى إليه وبه توّج بناءه الشامخ المشمخر ، ونعني بذلك قوله إن كاتب سفر التكوين „ كان مزوداً بعلم قدسي “ .

على هذه الصفة كان هيكل البناء الذي أقامه „ غلادستون “ ولقد نمّقه وزينه بتلك الخطابيات التي برز فيها وكان فيها من مقدمي أصحاب الفن والابتكار ، فأشرف بناؤه بهامة الجبار على „ أوساط الناس “ وبهرهم بجماله وجلاله القاهر — فكان أشبه بقلعة صينية في القرن التاسع عشر بنيت واجهتها بالخزف الثمين ، وسلّحت بالنبال .

وسرعان ما ظهر أن متانة هـذه القلعة كانت وهماً . فلقد اقتحمها الأستاذ « هكسلي » ببحث آثار الفكر بما فيه من الاعتدال ، وبما فيه من الحقائق الجارفة والبراهين المقنعة . وكان « هكسلي » رئيساً للجمعية الملكية ، وأعظم ثقة في المسائل العلمية غير منازع ممن عاصروا ‹‹ غلادستون ››

أما الدعوى الأولى في أن الكتابات المقدسة تزوّدنا ‹‹ بتقسيم رباعي ›› أو ‹‹ أقسام أربعة ›› خلقت ‹‹ بترتيب زماني نظيم ›› فلم يهتم الأستاذ هكسلي بنفيه .

أما دعوى ‹‹ غلادستون ›› الثانية اذ يقول بأن هذا التقسيم الرباعي الرئيس . وحدوث الخلق في ترتيب زماني نظيم ... قد ثبتت صحته في زماننا من طريق العلم الطبيعي حتى لقد يمكن أن يتخذ على أنه نتيجة مفروغاً منها ، وحقيقة لا مبدّل لها — فقد أظهر الأستاذ ‹‹ هكسلي ›› أنه لا وجود على الاطلاق لذلك ‹‹ التقسيم الرباعي ›› ولا ‹‹ للترتيب النظيم ›› وإنه على الضد من قول ‹‹ غلادستون ›› بأن مخلوقات الماء والهواء والأرض قد خلقت متعاقبة على الصورة التي صوّرها ، تدل كل الشواهد التي وصل إليها علمنا أنها لم تكن كذلك ، وان توزع الحفريات في الطبقات المختلفة ، يبرهن على أن بعض احياء الأرض قد تأصلت قبل أحياء الماء . وإنه كان هناك تمازج وتخالط بين مخلوقات البحر والبر والهواء ، مما يهدم ذلك ‹‹ التقسيم الرباعي ›› ويهدم القول ‹‹ بالخلق في ترتيب زماني نظيم ›› ؛ أما قول ‹‹ غلادستون ›› الذي استند فيه الى المتون المقدسة من أن نظريته قد أيدها البحث العلمي حتى لقد يمكن أن تتخذ على أنها نتيجة مفروغاً منها وحقيقة لا مبدل لها — ‹‹ فقد أظهر ‹‹ هكسلي ›› أن ذلك منافٍ للحقائق المعروفة لكل من له إلمام بأوليات العلم الطبيعي ›› . أما عمدة مستر « غلادستون » في هذا البحث ، وهو العلامة « كوفييه » فلا يصح أن تتخذ أقواله ثقة يعتد بها ، لأنه مات قبل

خمسين سنة . وكان العلم الجيولوجي لا يزال في طفولته ، ثمَّ تحدى مستر « غلادستون » أن يأتيه بمعاصر حجّة في العلم الجيولوجي قد يؤيد وجهة نظره التي أقامها على المقدسات . ولما حاول « غلادستون » في ردّه على « هكسلي » أن يؤيد وجهة نظره مستنداً الى أشياء انتحلها على الأستاذ ‚‚ دانا ،، لم يجد ‚‚ هكسلي ،، من صعوبة في أن يثبت أن ما عزاه ‚‚ غلادستون ،، الى ذلك الأستاذ الكبير ليس له أساس البتة .

في الوقت الذي استطاع فيه الأستاذ ‚‚ هكسلي ،، أن يهز دعائم البناء الذي أقامه ‚‚ غلادستون ،، ببينات العلم ، ظهر خصم جديد عمل على نقضها ببينات من سفر التكوين نفسه . فان المحترم القانون ‚‚ درايفر ،، أستاذ الجيولوجيا في جامعة اكسفورد مضى يناقش الأمر في ضوء التفسيرات المقدسة نفسها . ولقد تناول أول شيء الجدول المقارن الذي وضعه سير ‚‚ ج . د . دوسون ،، الذي حاول أن يظهر به دعوى التقابل بين الترتيب الخلقي في المقدسات في العلم الجيولوجي فقال : إن المنظومتين على تناقض كامل . فان ما يسجله علم الجيولوجيا لا يحتوي على ما يدل على عصور محدَّدة تقابل ‚‚ أيام ،، سفر التكوين . كذلك يذكر سفر التكوين أن خلق النبات قد تمَّ قبل أن تظهر الحياة الحيوانية . في حين أن الجيولوجيا قد أثبتت أنهما ظهرا متعاصرين ، إن لم تكن الحياة الحيوانية قد سبقت الحياة النباتية . وفي سفر التكوين تظهر الطيور مع المخلوقات المائية ، و تتقدم كل الحيوانات البرية . أما بينات الجيولوجيا فقد تثبت أن الطيور لم يظهر لها من أثر إلا في عصر بعد ظهور المخلوقات المائية (بما فيها الأسماك والبرمائيات) وتكاثرها ، وانها قد سبقت بأنواع أرضية كثيرة وبخاصة من الحشرات والأحياء الزاحفة . أما ما تقرره الرواية الموسوية من وجود الزروع قبل خلق الشمس فإن

”دريفر“ يقرر ”أن التوفيق بين هذه الرواية والمعلومات العلمية لم يقع عليه أحد بعد“ . ثم يقول ”مما سبق أن أفضنا فيه من القول ، نجد أنه لا سبيل بنا لغير نتيجة واحدة ، هي أن قراءة نص سفر التكوين تحدث في العقل أثراً واحداً هو المناقضة لموحيات العلم .

***

بذلك تهدّم بناء ”غلادستون“ الذي حاول أن يشيده على المقدسات مع ”تقسيمه الرباعي الرئيس“ الذي استمده من سفر التكوين ، ومحاولته التوفيق بين رأيه هذا والحقائق التي قررها علم الجيولوجيا . لقد هدم ”هكسلي“ الجزء العلمي في ذلك البناء ، ونقض ”درايفر“ أسسه الانجيلية ، وبذلك تقوضت آخر القلاع اللاهوتية إزاء ذلك العلم .

من حيث المعارضة لمثل هذه المحاولات نأتي هنا على آراء رجل فذّ من رجال الدين ، من الجائز أن يكون قد عمل على انقاذ كل ما هو جوهري في ”النصرانية“ في العالم الذي ينطق الانجليزية أكثر من كل رجال الكنيسة . فإن الأسقف دكتور ”أرثر ستانلي“ كان ذائع الصيت محبوباً في القارتين . ولقد قال في عظته التي ألقاها بعد دفن سير ”شارلز ليل“ : — ”إنه لمن البين الآن لكل النابهين من المكبين على درس الأناجيل أن الاصحاحين الأول والثاني من سفر التكوين يتضمنان قصتين عن الخلق تناقض احداهما الأخرى تمام المناقضة في التفصيل والزمان والمكان والترتيب . ومن المعروف أنه عندما بدأ العلم الجيولوجي يتنشأ وينمو ، قد اعتوره محاولات رمت الى التوفيق بينه وبين نص المقدسات . وكان هنالك أسلوبان للتوفيق بين الانجيل والعلم ، ولقد سقط كلاهما سقوطاً كاملاً : الأول انحصر في اخراج كلمات الانجيل عن معانيها الأصلية وجعلها تتكلم بلغة العلم . ثم

تكلم في مثال من أولي الأمثلة على ذلك هو محاولة اخراج معنى كلمة «ولا»[١] في سفر اللاويين عن معناها فقال: «ان هذا هو أول مثل على إفساد الانجيل ليوافق حاجات العلم. ولقد تبع ذلك جهود ابتغى بها باذلوها ان يلووا فصول سفر التكوين ليًّا حتى يوافق آخر ما وصل إليه علم الجيولوجيا — فقالوا بأيام ليست هي بأيام، وأمسيات وأضاحي ليست هي بأمسيات ولا أضاحي، وطوفان ليس هو بطوفان، وسفين ليست هي بسفين.

بعد أن نقع على مثل هذا القول التافه لنا أن نتساءل: أيهما أكثر تقوية لروح النصرانية لتؤثر أثرها في القرن العشرين: أكلمات قوية نبيلة أمينة جريئة، ككلمات دكتور «أرثر ستانلي»، أم تلك السفسطات التي تحمل في تضاعيفها عوامل السقوط وجراثيم الانحلال، كتلك التي فاه بها «غلادستون»؟

إن عالم العقل يسير الآن في طريق يوضح له أن الوحي العلمي في الخلق وغير الخلق، هو الذي يوائم بين عظمة العالم وعظمة خالقه، بارىء الأكوان. وكذلك يرى العقل من طريق العلم أن الوحي لم يكف فعله ولم ينقض زمنه، وأن رسل ذلك الوحي وحواريه، ليسوا أولئك الذين يعملون على أن يحوروا من كلماته لتلائم العقائد الجامدة وآراء أصحاب النحل، وانما هم أولئك الذين يضحون بأنفسهم قانتين للبحث وراء الحق، موقنين بأن هنالك «قدرة» كونية فيها من العقل والنُّهى والرشاد ما يؤيد البحث وراء الحق وينصره ويحميه، ليصبح الحق وقول الحق، مفيداً في هذه الحياة الدنيا.

اسماعيل مظهر

---

(١) والارنب. لانه لا يجتر لكنه لا يشق ظلفاً فهو نجس لكم» لاويين: ١١: ٦

ذكريات في السودان

وجه المشرف على ركن السودان في الاذاعة اللاسلكية المصرية الى حضرة صاحب العزة الأستاذ الكبير والشيخ المحترم خليل بك ثابت السؤال التالي :

« ماهي ذكريات عزتكم الصحفية عن السودان » ؟ فتفضل مشكوراً بالجواب التالي :

ذهبت الى السودان في فبراير ١٩٠٣ ، لأسس مطبعة لطبع مطبوعات حكومة السودان وأنشىء مع المطبعة جريدة باللغة العربية ، والإثنتان — المطبعة والجريدة — تابعتان لإدارة المقطم والمقتطف في القاهرة ، ووفقت الى تأسيس المطبعة فبدأت عملها في شهر يوليو من تلك السنة . وكان عمالها الأولون من مصر ، وبعد ذلك تيسر لي اختيار جماعة من الشبان والصبيان السودانيين فعلمتهم أعمال الطباعة المختلفة ، ونجحوا نجاحاً عظيماً حتى أنه لما زار السير ريجنلد ونجت السردار والحاكم العام في ذلك الحين المطبعة أعجبه جداً ما شهد من مهارتهم مع صغر سنهم وحداثة عهدهم بالعمل . واستمر العمل في هذه المطبعة الى سنة ١٩٢٤ ، فاضطررنا الى بيعها لشركة ماكوركدايل الانجليزية ، بعد ما عملنا أكثر من عشرين عاماً ، بنينا في أثنائها مبنى المطبعة القائم الآن على ميدان عباس .

أما الجريدة فصدرت أولاً باسم « جريدة السودان » في سبتمبر ١٩٠٣ ، وطبعنا العدد الأول منها بحضور سعادة السيد علي المرغني باشا والأميرالاي ستانتون بك مدير الخرطوم في ذلك الحين وهو نجل الجنرال ستانتون الذي كان قنصلاً عاماً لبريطانيا في مصر في عهد الخديو اسماعيل وهو الذي توسط في شراء أسهم قناة السويس التي كانت للخديو اسماعيل وقد اشتراها بأربعة ملايين جنيه بطلب المستر دزرئيلي رئيس الوزارة البريطانية في ذلك الحين . وكان الثمن أربعة ملايين جنيه على ما أذكر الآن ، وبين الذين حضروا حفلة افتتاح الجريدة « جريدة السودان » المرحوم البكباشي مبروك فهمي مأمور الخرطوم (بعد ذلك اللواء مبروك باشا فهمي) — وجمهور من أعيان السودان والشبان المثقفين . وبعد ما

صدرت الجريدة بالعربية في أربع صفحات نحو عامين أضيفت إليها صفحتان بالانجليزية بناء على طلب الحاكم العام لكي يطلع كبار الموظفين الانجليز على ما ينشر في باب النقد وباب الاقتراح وغيرهما .

وفي صيف ١٩٠٧ اضطررت الى مغادرة السودان بسبب حالة زوجتي الصحية وتركت العمل في يد المرحوم الأستاذ لبيب جريديني والأستاذ اسكندر مكاريوس من ابناء أصحاب العمل

وكانت هذه المطبعة وهذه الجريدة أول مطبعة وأول جريدة أنشئت في ذلك العهد الى الجنوب من القاهرة . ولما زار أصحاب الصحف المصرية وممثلوها الخرطوم مع المرحوم اللورد كرومر للاحتفال بسكة حديد عطبرة — بورسودان وميناء بورسودان — زار حضراتهم مطبعة السودان وكان إعجابهم شديداً بنظام المطبعة ، وحسن أدواتها وآلاتها ، وقد جلبت كلها بنظام واحد من أحدث مصانع بريطانيا .

وعرفت في من عرفت في السودان في أثناء اقامتي فيه — ولقد لقيت كل عناية ورعاية من الشعب السوداني في جميع طبقاته — المرحومين الزبير باشا رحمت العباسي والشريف يوسف الهندي والشيخ ابراهيم ناظر الجعلين والشيخ الطيب هاشم مفتي السودان وشقيقه شيخ العلماء الشيخ أبو القاسم هاشم ومحمد بك حسن سر تجار أم درمان والشيخ مدثر الحجاز وأحمد عثمان القاضي وكثيرين غيرهم . ولم يكن سعادة السيد عبد الرحمن المهدي باشا قد برز الى الأمام كما فعل بعد ذلك

وكانت كلية غردون في أول عهدها ، وكان ناظر القسم الثانوي فيها الأستاذ احمد هدايت بك والمدير العام لها وللمعارف المستر جيمس كرى (بعدئذ السير جيمس كري)

وعرفت من رجال حكومة السودان في ذلك الحين علاوة على الحاكم العام والسردار السير ريجنلد ونجت والكولونيل نيسون السكرتير الملكي (السكرتير الاداري) والمستر بونهام كارتر السكرتير القضائي (السر ادجار بونهام كارتر فيما بعد) والمستر وايزي ستيري قاضي القضاة المدنيين والكولونل فيبس وبرنارد باشا السكرتير المالي وهنري باشا وآسر باشا وغيرهم من كبار الضباط والحكام الانجليز والمرحومين الشيخ محمد شاكر قاضي قضاة السودان الأول ونسيبه الشيخ محمد هارون وقد خلفه فيما بعد ، والشيخ محمد مصطفى المراغي قاضي القضاة

وشيخ الجامع الأزهر فيما بعد وغيرهم من رجال الشرع المصريين والسودانيين ، وسعيد شقير باشا ، وشاهين جرجس بك ، وابراهيم ديمتري بك ، وصموئيل عطية بك ، ونعوم شقير بك (مؤلف كتاب تاريخ السودان) والميرالاي محمد غالب بك ونخلة تادرس بك وغيرهم من كبار الموظفين الشرقيين . ولم يكن الشبان السودانيون قد شرعوا يتولون المناصب الكبيرة لقرب عهدهم بالتعليم المدرسي ، وقد أصلح هذا الأمر فيما بعد .

ومع ان الأحكام في السودان كانت في ذلك العهد في مظهرها الخارجي شبيهة بالأحكام العسكرية — وإن لم تكن كذلك — فقد كانت الجريدة حرّة فيما تكتب وما تنشر ، لا رقابة عليها من جانب الحكومة بل كانت تنشر أحياناً أموراً لا يرتاح اليها رجال الحكومة ، وهذا ما أذكره بالشكر والتقدير للسير ريجنلد وينجت باشا ، والسياسة السديدة التي كان يجري عليها ، وأذكر أنني مرة أفشيت عن غير قصد سر حملة عسكرية كبيرة كانت مرسلة من الخرطوم الى بلاد سلطان نيّام نيام لتأديبه وتأديب قبائله فخبطت الحملة وضاعت أموال كثيرة ، وأقلق بال وزارتي الحربية والخارجية في لندن واللورد كروم في القاهرة ، ومع ذلك لم يجاوز موقف حكومة السودان في الموضوع عتباً رقيقاً من جانب الحاكم العام لي ، وايضاحاً للضرر العظيم الذي أحدثه نشر الخبر في الجريدة

وكانت اقامتي في الخرطوم مدة خمسة أعوام مقرونة بالسرور والاغتباط بما لقيت من رعاية رجال الحكومة من شرقيين وأوربيين وما أصبت من حسن ظن اخواني السودانيين ولا سيما أعيانهم وكبرائهم وذوي الرأي منهم .

وما زلت متعلقاً بالسودان ، أحبه كوطن من أوطاني العربية العزيزة ، وقد حافظت على صلتي المادية به ، فإن لي أرضاً وبيتاً في الخرطوم ، أبيت بيعهما ، وآثرت ابقاءهما في حيازتي كصلة وثيقة لي بالسودان . وقد زرت السودان بعد تخليّ عن العمل فيه مرتين كانت أخيرتهما في سنة ١٩١٣ ، فرأيت فيه مظاهر التقدم الكبير في شوارع الخرطوم وميادينها وما جدّد من شوارع أم درمان والكبري الجديد على النيل الأزرق ، والمعدية البخارية بين الخرطوم وأم درمان ، والتراموای الكهربائي في الخرطوم وأم درمان ، وعملية الكهرباء في الخرطوم ، الى آخر مظاهر الاصلاح التي يشهدها المرء الآن ويشهد غيرها في تينك المدينتين وسائر مدن السودان . وهذا علاوة على مظاهر التقدم الأدبي والعلمي والثقافي في طبقات الأمة السودانية

واني اسأل الله أن يتيح لي زيارة هذا الوطن لأشهد فيه أضعاف ماشهدته في زيارتي الأخيرة راجياً للسودان العزيز وأهله الكرام اطراد التقدم والنجاح في جميع ميادين الحياة والعمل .

من الاعماق

مهداة الى أخي : محمود حسن اسماعيل

إمتَـحِ الشعر يا نديمي ، وعقده   فسحر هذا القريض غموضه . !
امتَح الشعرَ ، من هناك ، من الأعماق ، ملأى بالوسوسات عروضه . !
امتح الشعر ، لا تكبله بالعقل ، فيا صاح ، ما الحجا ، ما فروضه . ؟
إمتح الشعرَ ، ليس شعراً لديَّ ،   غير نظم كالنفس يندى وميضه . !

***

إيه ياذكرياتِ أمسي ، زمانُ الأمس وَلى ، فكيف تحيين بَعدهْ ؟ .
إيه ، ما حاضر الوجود إذن . . ؟ ألعمر مهوي ... فهل ترومين ردَّه ؟
«أنا أحيا ، لكن حياة أحاجٍ ... ضلَّ من يحسب الإجابة عقدَه ! .»
« ثم ماذا ؟ » — «لاشيء ! » تمتم لحناً واكتفى هذا أعمق الشعر عنده . !

***

ومضاتٌ يا قلبُ ، بل أبحرٌ ، آه ، لودْقٍ ينتابني ثجاجا . !
ومضاتٌ من تربة النفس تنزو ، ما أبي أبكي نزوها الوهّاجا ...
فاقفلِ الباب ، إقفلِ البابَ ، يا قلبُ ، وخذ عني هذه الأمواجا :
وتنهدتُ للخلاصِ هنا ، قرب مجاذيفِ حيارى تشتكي الإدلاجا . !

***

« قف بنا الآن يا شراعُ اذن ، هذي مجاذيفي أنهكتها الخطوبُ ... »
«لم يجب ... » «قف بنا» ويهوي يحث السير : رقَّ جنت عليه الغيوب
فوقفتُ وحدي ... أشيّع هذا الموكبَ المرَّ — آهِ — وهو يغيبُ :
وحواليَّ الكائناتُ رموزٌ ، في فؤادي مفتاحها محجوب ! ! !

(القاهرة)   عمر نابه الذهبي

هيئة الأمم المتحدة

قبيل انتهاء الحرب العالمية الثانية أخذت دول الحلفاء الكبيرةُ، وهي الولايات المتحدة والمملكة المتحدة (بريطانيا) والإتحاد السوفيتي والصين، تفكر في إنشاء هيئة دولية جديدة تخلف جامعة جنيف، تلك الجامعة التي لم يكن اثنان قد اختلفا على أنها لفظت آخر أنفاسها ولم تعد تصلح أداةً لصون الأمن والسلم في العالم. وآيةُ اخفاقها تلك الحربُ العالمية الطاحنة التي استمر أوارها في عام ١٩٣٩ ولم يخمد إلا في عام ١٩٤٥ .

وقد تبلور هذا التفكير في مؤتمرٍ تقرر عقده في مدينة دمبارتن أوكس بالقرب من وشنطن في اليوم الحادي والثلاثين من شهر أغسطس سنة ١٩٤٤ ، وشهده مندوبو هذه الدول الأربع الكبيرة ولبث المؤتمر حتى اليوم السابع من اكتوبر ١٩٤٤ بعد ما دامت أعماله قرابة أربعين يوماً، وأسفر عن وضع مقترحات لإنشاء هيئة دولية مهمتها صونُ الأمن والسلم الدولي.

وعقب انتهاء المؤتمر من أعماله ومن مقترحاته التمهيدية، أذاع الرئيس الراحل فرنكلن روزفلت خطاباً في يوم ٩ اكتوبر ١٩٤٤ قال فيه: إن المقترحات التي اتخذها مؤتمر دمبارتن أوكس رُفعت الى الحكومات الأربع لبحثها توطئة لإقرارها، وأن نصوصها أذيعت على العالم حتى يتاحَ لكل صاحب رأي أن يبدي رأيه في هذه المقترحات. ثمَّ تحدث الرئيس الأميركي بشيء من الافاضة عن أهداف هذه المؤسسة المقترحة وأقسامها العامة وأثنى بوجه خاص على المستر كوردل هل وزير الخارجية الأميركية إذ ذاك لما أبداه من جهدٍ تداعت له صحته في وضع دعائم السلم الدولي.

ولمّا رأت الحكومات الأربعُ الكبيرة أن مقترحات دمبارتن أوكس صالحة لأن تكون أساساً للمناقشة لإنشاء هيئة دولية جديدة، نابت الولايات المتحدة عن زميلاتها

الثلاث في توجيه رقاع الدعوة الى نحو خمسين دولةً لتشهد مؤتمراً عامًّا للأمم المتحدة يعقد في مدينة سان فرنسسكو الاميركية في الخامس والعشرين من ابريل من عام ١٩٤٥ لمناقشة مقترحات دمبارتن أوكس ووضع مشروع نهائي لميثاق هيئة الأمم المتحدة . وقد روعي في توجيه الدعوة اختيارُ البلدان التي ساهمت في قضية الحلفاء ، فلم تشترك في المؤتمر دولة مّا من دول المحور . وقد مثل مصر في هذا المؤتمر وفد برياسة معالي الدكتور عبد الحميد بدوي باشا وكان من أعضائه دولة ابراهيم عبد الهادي باشا .

عقد إذن مؤتمر سان فرنسسكو ، ونوقشت فيه قرارات دمبارتن أوكس فأدخلت عليها تعديلات شتى ، وانتهت أعمال المؤتمر في اليوم السادس والعشرين من شهر يونيو ١٩٤٥ بعد ستين يوماً من العمل المضني ، وأمضت الوفود مشروع ميثاق هيئة الأمم ، وهو الميثاق الذي تستند إليه الهيئة اليوم في كل عملٍ من أعمالها .

ونصّ الميثاق بعد الديباجة على أن يكون قوام هيئة الأمم المتحدة ست دعائم رئيسية هي :

أولاً — جمعية عمومية . ثانياً — مجلس للأمن . ثالثاً — مجلس اقتصادي واجتماعي .
رابعاً — مجلس للوصاية . خامساً — محكمة دولية للعدل . سادساً — سكرتارية

وسنتحدثُ عن كل هيئة من هذه الهيئات ونبينُ أهدافها ووسائلها وأساليب العمل فيها .

﴿ أولاً — الجمعية العمومية ﴾ الجمعية العمومية هي الحلبة الكبرى التي تشترك فيها جميع الدول المحبة للسلام على قاعدة المساواة ، لا فرق بين دولة كبيرة أو دولة صغيرة ، وتتمتع جميع الدول من أعضائها بحقوق متساوية والتزامات متساوية . ويمكن لكل دولة أن تنتدب عنها عدداً من الممثلين في الجمعية العمومية — قد يصل الى خمسة — ولكن لا تتمتع الدولة إلاَّ بصوت واحد في الاقتراع شأنها شأن سائر الدول الأخرى .

وتناقش الجمعية العمومية كل ما يعرض عليها من شكاوي وكل ما له صلة بالمبادىء العامة الخاصة بصون السلم والأمن الدولي ، كمبادىء نزع السلاح ، وتنظيم التسليح ، كما أن لها أن تقدم توصياتها الى الأعضاء أو الى مجلس الأمن أو كليهما .

وللجمعية أن توجه نظر مجلس الأمن الى الحالات التي من شأنها أن تعرض سلم العالم وأمنه للخطر .

ومن مهام الجمعية إنماء التعاون الدولي في الميادين السياسي والقانوني والاقتصادي والاجتماعي والثقافي والصحي ، وكذلك بحث التقارير السنوية التي تقدم اليها من السكرتير العام لهيئة الأمم ومن رئيس مجلس الأمن ومن الهيئات الأخرى التابعة لها .

ومن أعمالها كذلك انتخاب أعضاء مجلس الأمن وأعضاء المجلس الاقتصادي والاجتماعي

أما قرارات الجمعية فتؤخذ في الموضوعات الهامة بأغلبية ثلثي الحاضرين المقترعين . ولكن في الموضوعات غير الهامة تؤخذ القرارات بأغلبية بسيطة للحاضرين المقترعين .

وتعقد الجمعية العمومية دورات عادية سنوية ، ويمكن دعوتها الى دورات استثنائية كلما رُئي ذلك ضرورياً . وتنتخب الجمعية رئيساً لها في كل دورة ، ورئيسها في الدورة الحالية هو الدكتور هربرت ايفات وزير خارجية استراليا ، ولها أن تنشىء من اللجان والمنظمات والهيئات ما تراه ضرورياً للنهوض بما يعن لها من مهام .

ولكن الجمعية العمومية تنشطر بدورها الى طائفة من اللجان ، فهناك لجنة السياسة والأمن وهي أكبر لجان الجمعية العمومية لأنها تمثل جميع الأعضاء وتمهد الأعمال أمام الجمعية العمومية بأن تقتلها بحثاً وفحصاً ومناقشة وتدقيقاً . ثم تقترع فيها وتعرض نتيجة الاقتراع على الجمعية العمومية وهي في العادة تقره .

وهناك اللجنة التوجيهية التي من شأنها توجيه أعمال الجمعية العمومية حتى لا تتشتت و تتشعب

وهناك اللجنة الاجتماعية والانسانية ، ومهمتها مناقشة الموضوعات التي تهتم بالمشكلات الاجتماعية والانسانية مثل قضية مشردي أوربا أو قضية لاجئي فلسطين وأشباههما .

وهناك لجنة المالية والميزانية ومهمتها مراعاة الشؤون المالية والاعتمادات الخاصة بكل برنامج ... وما الى ذلك .

هذا عن الجمعية العمومية

﴿ ثانياً — مجلس الأمن ﴾ — يتألف مجلس الأمن الدولي من أحد عشر عضواً يمثلون إحدى عشرة دولة .

والعضويةُ في المجلس نوعان : فهناك أعضاء دائمون عددهم خمسة يمثلون الدول الخمس الكبيرة وهي بريطانيا وأميركا وروسيا وفرنسا والصين .

وهناك أعضاء غير دائمين يمثلون ست دول صغيرة وهم ينتخبون لدورة مداها عامان ، تسقط في نهاية كل عام عضوية ثلاثة منهم ، وينتخب محلّهم ثلاثةُ آخرون . ويراعى عادةً في اختيار ممثلي الدول الصغيرة التوزيع الجغرافي للدول ، فينتخب ممثل عن الدول العربية ، وآخر عن دول أميركا اللاتينية ، وثالث عن دول جنوب شرق آسيا ، ورابع عن دول شرق أوربا ... وهكذا .

والمسؤول عادةً عن انتخاب أعضاء مجلس الأمن هو الجمعية العمومية ، فهي التي تنتخب أعضاء مجلس الأمن في كل عام .

أما رئاسة جلسات مجلس الأمن فتكون بالتناوب وبترتيب أحرف الهجاء لأسماء الدول فرئيس دورة الرئاسة الماضية — ومدة الدورة شهر واحد — هو محمود فوزي بك ممثل مصر ، وقد خلف في منصبه الدكتور تسيانغ مندوب الصين .

وأهم عمل لمجلس الأمن هو ما ورد في الجزء الأول من المادة الرابعة والعشرين من ميثاق هيئة الأمم المتحدة ، وهو : « رغبةً في أن يكون العمل الذي تنهض به الأمم المتحدة سريعاً فعالاً ، يعهد أعضاء تلك الهيئة الى مجلس الأمن بالتبعات الرئيسية في أمر صون السلم والأمن الدولي ، ويوافقون على أن يعمل هذا المجلس نائباً عنهم في قيامه بواجباته التي تفرضها عليه هذه التبعات » .

أي ان مجلس الأمن مسؤولٌ قبل كل شيء عن صون الأمن والسلم ، وقراراته ملزمة لأعضاء هيئة الأمم . ولذلك لا يبحث المجلس إلاَّ القضايا الخاصة إما بخرق السلم الدولي أو التي تنذر السلام بخطر ، أو التي من شأن بقائها تهديد السلم بخطر .

ومجلس الأمن يسعى لحل هذه المشكلات بادىء ذي بدء بطريق المفاوضة والتحقيق والوساطة والتوفيق والتحكيم والتسوية القضائية ، ثم يلجأ الى المنظمات الاقليمية أو سواها من الوسائل السلمية التي يختارها . وله كذلك أن يدعو الفريقين المتنازعين ، أو الفرق المتنازعة إلى تسوية ما بينها من خلاف بتلك الأساليب .

أما إذا لم تُجدِ هذه الوسائل السلمية في تسوية نزاعٍ من شأنه أن يهدد سلام العالم بالخطر فللمجلس أن يبحث الأمر من جميع نواحيه ، وله أن يقرر إما عقوبات منها الكفّ عن الصلات الاقتصادية وقطع المواصلات الحديدية والبحرية والجوية والبريدية والبرقية واللاسلكية وسواها من وسائل المواصلات جزئيًا أو كليًا وقطع العلاقات الدبلوماسية ....

وإما اتخذ بطريق القوات الجوية والبحرية والبرية من الأعمال ما يلزم لحفظ السلم والأمن الدولي أو لإعادته إلى نصابه .

وفي ما يختص بهذا الأمر تعهدت دول هيئة الأمم بأن تضع تحت تصرف مجلس الأمن وبناءً على طلبه وطبقاً لاتفاقٍ أو اتفاقات خاصة ما يلزم من القوات المسلحة والمساعدات والتسهيلات الضرورية لصون السلم والأمن الدولي .

***

هذا وتتبعُ مجلسَ الأمن هيئة لأركان الحرب مهمتها وضع الخطط الحربية اللازمة ومدّ المجلس بالمشورة . وقوام هذه الهيئة رؤساء أركان حرب الأعضاء الدائمين في مجلس الأمن (أي الدول الخمس الكبيرة) ومن يقوم مقامهم ، وللجنة أن تستعين بدول ليست ممثلة فيها للاشتراك في عملها .

ولهيئة أركان الحرب أن تنشىء من اللجان الفرعية الاقليمية ما تشاء إذا أجاز لها ذلك مجلس الأمن .

***

ومن الأعمال الأخرى التي يتعين على مجلس الأمن انجازها ، عدا ما تعلق منها بصون الأمن والسلم ، موضوع البت في عضوية أعضاء هيئة الأمم المتحدة . فكل عضو يروم الانضمام الى هيئة الامم يقدم طلبه الى مجلس الأمن لمناقشته ، فاذا تبين المجلس أن هذا العضو مكتمل لمقوّمات العضوية — وأهمها انه محب للسلام — أوصى بقبوله وأحال طلبه الى الجمعية العمومية لهيئة الأمم المتحدة لتتعهده بدورها ثم تقرر قبوله أو رفضه .

أما قرارات مجلس الأمن فيشترط أن تكون بأغلبية سبعة أصوات. والمعروف طبعاً أن لكل عضو صوتاً واحداً.

فاذا كان الأمر متعلقاً بلائحة الاجراءات اكتفى بموافقة سبعة من أعضائه أيّاً كانت صفتهم

أما إذا كان الأمر متعلقاً بالمسائل الأخرى المطبوعة بطابع الخطورة، فيلزم لاقرار القرار الظفر بموافقة سبعة أصوات يتعين أن تكون من بينها أصوات الأعضاء الدائمين الخمسة. ويشترط أن يمتنع المتنازعون عن الاقتراع.

وإذا بحث مجلس الأمن قضية دولة غير عضوٍ فيه كأندونيسيا مثلاً، فان للمجلس أن يقرر دعوة هذه الدولة إلى ايفاد مندوب عنها يشهد جلسات المجلس ويفضي برأي بلاده ولكنه لا يحقّ له أن يتمتع بحق الاقتراع.

ويختلف مجلسُ الأمن عن الجمعية العمومية في أن المجلس يبيح للدول الكبيرة أن تتمتع بنفوذ أوسع من نفوذ الدول الصغيرة. صحيح أن الدول الكبيرة ليس لها سوى صوت واحدٍ لكلٍّ منها كما سبق أن قلنا، ولكن هذا الصوت يمكنها اذا شاءت من نقض قرارات مجلس الأمن. فان مجرد امتناع دولة كبيرة عن الاقتراع كافٍ ليحول دون اتخاذ قرارٍ ما، وهذا ما يسمونه حق النقض أو «الفيتو». ومما يذكر في هذا الصدد أن روسيا استعملت هذا الحق حتى الآن ثلاثين مرة فاستطاعت أن تنقض ما شاء لها من قرارات مجلس الأمن.

* * *

﴿ ثالثاً — المجلس الاقتصادي والاجتماعي ﴾ ومن أهداف هيئة الأمم المتحدة ضرورة تعزيز الصلات الودية السلمية بين الأمم وهي لذلك تعمل على رفع مستوى المعيشة وتهيئة أسباب العمل الدائم لكل فرد والنهوض بعوامل الرقي الاقتصادي والاجتماعي. وهي لذلك تهتم بأن تشيع في العالم روح احترام حقوق الانسان والحريات الأساسية للجميع بلا تمييز بسبب الجنس أو اللغة أو الدين ولا تفرقة بين الرجال والنساء ومراعاة تلك الحقوق والحريات فعلاً.

وقد نص ميثاق هيئة الأمم ، رغبة منه في تحقيق ذلك ، على انشاء مجلس اقتصادي واجتماعي قوامه ١٨ عضواً تنتخبهم الجمعية العمومية لهيئة الأمم المتحدة على أن ينتخب ٦ أعضاء في كل عام ومدة عضويتهم ٣ أعوام .

وهذا المجلس — في الأغلب — بعيد عن الشؤون السياسية ، وهو يبحث المشكلات التي تعرض عليه بروح يغلب عليها الطابع العلمي الفلسفي . وقد استطاع المجلس في دورته الأخيرة برياسة مندوب لبنان الدكتور شارل مالك أن ينجز طائفة كبيرة من الشؤون الأساسية مثل وضع ميثاق حقوق الانسان وتقرير مبدأ المساواة التامة بين الرجل والمرأة في جميع الشؤون ، وانشاء لجان اقتصادية اقليمية مهمتها تحقيق التعاون الاقتصادي في مناطق العالم المتشابهة المتقاربة... الخ

وتتبع المجلس الاقتصادي والاجتماعي نحو مئة هيئة دولية مثل الهيئة الصحية الدولية ، وهيئة الطعام والزراعة الدولية ومكتب العمل الدولي ...

* * *

ومهمة المجلس الاقتصادي والاجتماعي أن يجري دراسات ويضع تقارير عن الشؤون الدولية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتربوية والصحية ، ثم يقدم توصياته بشأنها إلى الجمعية العمومية .

وله أن يؤلف مايشاء من اللجان والهيئات التي يعتقد أنها ضرورية لتحقيق التعاون الاقتصادي والاجتماعي بأوسع معانيه في العالم .

* * *

أما القرارات فتكون بأغلبية أعضاء المجلس الحاضرين المشتركين المقترعين ، ولا يميز عضو على عضو .

[للبحث بقية]

وديع فلسطين

الشوق القديم

أقبلتُ نحوك والدجى   في الأفق مبسوط الجناح
وبأضلعي للشوق أجـ   ـنحة تصفق من جراح
والكون أغفى مستعيداً   حلمه كصريع راح
أسعى اليك كما سعى   طير لرزق في الصباح
وكأن بي ظمأ الجريح   غداة مشتجر الرماح
فمددت من عطف اليَّ   يد المسيح مسلمه

أمسكت بي شلواً هوى   للأرض مسلوب العزاء
لم تبق في نفسي الغوا   ية للهداية من رجاء
فكأنني الملاّح ضلّ   سبيله عند المساء
إذ راحت الأمواج تلطم   فلكه من كبرياء
والريح ناصبت الشراع   مرير أنواع العداء
فأشاح من مضض   بعين بالمدامع مفعمه

حسناء أي حزازة   أرثتها في الأضلع
حركت بي غافي الشجو   ن ولهفة المتفجع
وبعثت أدواء الصبا   ناراً أقضت مضجعي
لله دمعك لم يدع   للسقم بي من موضع
أعلمت أي جوى قدحـ   ـت وأي داء موجع
كبدي تصفق كالذبيح   رمته قوس محكمه

تلك الجراح حملتها   كرهاً ولم أتكلم
أخشى شماتة حاسد   وأخاف عذل اللوّم
فكشفت عما أضمرت   كبدي وما أخفى فمي
وبلغت ما أعيي الرجا   ل بدمعة المستسلم
كم عبرة من شادن   نفذت كحتف مبرم
لولا المدامع لم يلن   قلب على متظلمه

(دمشق)   عدنان مردم بك

نظرات في النفس والحياة

- ١٦ -

نظرات جوتا أو (جيتا)

جوهان وُلْفجانج فون جوتا أو جويتى الأديب الشاعر العالم الألماني — ربما كان بين الناس من بلغوا منزلته ، أو بَذُّوه في النثر أو الشعر أو العلوم المختلفة أو النقد. ولكن لم يكن بينهم من بلغ شأواً كبيراً في كل هذه العلوم والآداب كشأوه الكبير ، ومنزلته العظيمة . ومن أجل ذلك كان عجيبة زمانه ، وليس عظم منزلته في فنٍ أو علم أو أدب واحد ، ولكن عظم منزلته في تبريزه فيها كلها . وقد كان شعاره تكميل النفس بالثقافة من كل مصدر وباب . وله في العلوم كشوف لم تكن معروفة من قبله ، ولو أنه أخطأ في تخطئة نيوتن العالم الانجليزي . وكانت له رسائل في النقد في الفنون المختلفة والآداب ، وقصصه التمثيلية بعثت فن التمثيل في المانيا ، كما أن قصصه غير التمثيلية مهدت السبيل لفن القصص . ومن الغريب أنه اشتهر بيننا بأقل مؤلفاته منزلة عند النقاد ، وأعني قصة أحزان ورتر التي ترجمت الى العربية ، وكان قد ألفها في شبابه في العهد الذي أسماه عهد العاصفة والشدة ، وله محادثاته لأكرمان ، ومراسلاته لشيلر الشاعر ، وترجمة حياته التي سماها (الحقيقة والخيال) . ولكن القصة الشعرية التي اشتهر بها في المانيا وبين الأدباء والمفكرين هي قصة (فوست) . والجزء الأول أسهل من الثاني . ولم يتم الجزء الثاني إلاَّ بعد أن بلغ الشيخوخة ، وأودعه فكره وفلسفته في قالب شعري خيالي . وقد كان جوتا يعيب على شعراء الرمزية جعل الشعر أوهاماً وأضغاث أحلام لا حقيقة تحتها . ومع ذلك فقد كان يلجأ الى الرمزية للتعبير عن الحقائق التي كما قال لا تُصوَّر إلاَّ بها ، ولم يكن يعيب الرمزية فحسب ، بل كان يعيب المذهب الخيالي (الرومانتيكي) . وقد لفته صديقه شيلر الى ما في شعره من هذا المذهب . ولا غرابة فإن من كانت نهمة بحثه وفكره وخياله لا تشبع ،

ربما لجأ الى هذا المذهب . ولعلّ إمرْسُون الاديب الشاعر الأمريكي قد كان يعني ذلك في قوله إن جوتا وصل في بحث ما يمكن عرفانه الى حدود المجهول ، ثم خطا خطوة وراء تلك الحدود وعاد سليماً!!!. وهذه مبالغة طريفة . ولكن من يحاول أن تكون له ثقافة متنوعة كثقافة جوتا لا بدّ أن تَفدَحهُ وتَبهظَهُ ، وله كلمة يعترف فيها أنه ركب الشطط في طلب هذه الثقافة . وإنما يهمنا في هذه المقالات نظراته في النفس الإنسانية ، وهذه النظرات تعطيك في القراءة الثانية أكثر مما تعطيك في الأولى ، وقد اخترت بعضها لأظهر أنه لم يكن أقل بصيرة ممن كتبوا في صفات النفوس من أمثال مونتاني ، وباكون ولاروشفوكولد ، ولابروير . ولا يعجبني مسلك النقاد الذين يريدون الحط من قدر غيره ظنًّا أن ذلك يرفع قدره ، ولا مسلك المغالين في إعظامه، حتى يكاد الإعظام يبلغ مرتبة التقديس والتنزيه . كما لا يعجبني مسلك الذين يحطون من قدره لأن له مواقف غرامية كثيرة ، أو لأنه لم يكتب قصائد ليشعل الحقد والبغض في نفوس الألمان ، وهم يحاربون الفرنسيين لطردهم من المانيا . ومن الغريب أنه جمع بين سهولة الأدب الكلاسيكي القديم والطريقة الفلسفية أو الخيالية الألمانية المعقدة . وقد اعترف بنزعة المفكرين الألمان الى هذا التعقيد ، فكأن مؤلفاته بناء جمع بين الطريقة الأغريقية التي كانت تنحو نحو السهولة ، وبين طريقة البناء القوطي التي تنحو الى غير ذلك .

وقد درج بعض الكتّاب على انتقاص لاروشفوكولد، ومدح جوتا، بدعوى أن الأول يكثر من اتهام النفس الانسانية بالأثرة ، كأن جوتا لا يفعل مثل فعله ، وسيتضح أنه يفعل ذلك ، ولا بدّ لباحث النفس أن يفعل . وهذه بعض نظراته مع التعقيب عليها : —

(١) في النفس قاعدة سيكولوجية ، وهي إنها تحاول ان تحوّل موضع ضعفها ونقصها الى مبدأ عام ممدوح . ومن أمثال ذلك : ان بعض الناس يحسبون التأني الذي سببه الخوف الكامن قوة لا يغلبها غالب ، ولا يقهرها قاهر ، مع ان إحجامهم قد لا يكون تبصُّراً وحزماً . وكذلك نرى الضعفاء الذين يعتنقون الآراء الثورية يحسبون أنهم يكونون أسعد حالاً باعتناقها ، ويكون الناس كذلك في أرغد عيش وحال، ولا يفطنون الى أن ضعفهم يمنعهم من حكم أنفسهم ومن حكم الناس — وفي هذه النظرة أكثر من ذلك ،

فكما ان القاعدة ان النفس تُزَيِّن موضع ضعفها ، فهي أيضاً تُقَبِّح وتُصَغِّر ما ليس فيها من الصفات التي تستطيع التخلق بها . فإن من لا يساعده طبعه على التخلق بآداب السلوك ، يرى أن آداب السلوك ضعف، ومذلة، ونقص. وتقبيح ما ليس في نفسه من الصفات الحميدة أو المقبولة لا يمنعه إذا كان له أرب من مدح ما لا يتخلق به من صفات الحمد في بعض الأحايين كي يحسب الناس إنه انما مدحها لأنها من صفاته ، إذ أن النفس لها وسائل مختلفة متناقضة ، تحاول بها كسب المدح والإعظام.

(٢) مهما عاش الانسان في عزلة عن الناس منفصلاً عنهم بأفكاره واحساساته وأعماله، فإنه لا بد أن يكون إما مديناً واما دائناً لغيره في تلك الأمور كلها أو بعضها . ولكن القاعدة هي ان الناس اذا قابلوا انساناً مديناً لهم بفضل، تذكروا ما هو مدين لهم به ، وكانوا أسرع الى التفكير فيما دانوه به من الفضل . أما اذا قابلوا انساناً هم مدينون له فإنهم قلما يذكرون فضله عليهم ، أو اذا ذكروه أسرعوا الى تجاهله ، ويضايقهم ما يلح في تذكيرهم به .

(٣) ان صفات النفوس تظهر في أعمالها ومعاملاتها . ومن أجل ذلك يخطىء من يظن أنه يستطيع أن يعرف صفات نفسه بالفكر وحده ، وبالتأمل في نفسه من غير ان ينظر الى صفاتها في أعمالها . والواقع أن النفس تحاول أن تفصل عمداً بين الأمرين ، وهذا الفصل قاعدة سيكولوجية فيها ، لأنها تعرف ان العمل قد يغريها بالتخلق بصفات ذميمة ما كان يتخلق بها المرء لولا اضطراره الى العمل والمعاملات. فكثيراً ما يتجاهل المرء عمداً صفات نفسه التي يظهرها اضطراره الى العمل والمعاملات ويكتفي بالحكم بصفات نفسه غير المضطرة وهي صفات أرق وأطهر ، وقد شبه جوتا نوعي الصفات بالسَّدَى واللُّحْمَة في النسيج أو بالزفير والشهيق في تنفُّس الانسان الحي . وقال إنه لا يستطاع معرفة النسيج من السَّدَى فحسب ، أو من اللُّحْمَة وحدها ، بل من الاثنين معاً . ومن أجل ذلك يغيظ المرء ان تذكره بصفاته التي تظهرها أعماله ومعاملاته . لأن هذا الفصل بين نوعي الصفات يساعد المرء على التخلق بما يشاء من صفات السوء وهو مطمئن راضٍ عن نفسه .

(٤) لو كان انحياز الانسان للباطل سببه خطأ الفكر من غير ان يكون الباطل متصلاً بميول نفسه ونزعاتها وعواطفها وأخلاقها ، سهل تصحيح الباطل وتلافيه ، ولكن اتصاله

بها يجعل تصحيحه وتلافيه أمراً شاقًّا أو مستحيلاً . ومن أجل ذلك اذا استعصى على الانسان تصحيح خطأ أو باطل في نفس انسان آخر خدع نفسه ، وأوهمها ان ذلك الخطأ وان ذلك الباطل من ضلال فكر صاحبه ومن أغلاطه العقلية غير المتصلة باحساساته ونزعاته وانما يغالط نفسه هذه المغالطة كي يجعلها تأمل إزالة ذلك الباطل . اذا كان لها خير في إزالته . إذ أنه يدرك بالفطرة أن مكافحة الخطأ الفكري الخالص من شوائب النفس أقل مشقة وأيسر مؤونة وكلفة . وهذا يعلل أمل بعض الناس في التفاهم مع من لا يرجى التفاهم معهم واقناعهم بما لا يمكن اقناعهم به . ولا سيما أن الأمل في التفاهم اذا ازداد صير توقعه حدوث التفاهم كأنه قد حدث كما هو شأن الأمل في أي أمر آخر . فاذا استجدت أسباب تغير من نزعات من لا يريد التفاهم ومن ميوله النفسية حتى يرى في التفاهم نفعاً له لبس الزهو مجادله ونسب هذا التغير الى قدرته على الاقناع بالفكر ولباقته وكياسته فيه .

(٥) ان الفكر قد يصحبه شعور شديد وهذا الشعور له أثر عظيم في الحياة وهو نافع اذا استطاع المرء أن يمنع نفسه وهو يفكر من الانسياق في تيار سيله لأنه اذا لم يستطع حكم شعوره وضبطه لم يستطع أن يصحح رأيه وان يعالج ميل نفسه اذا حادت عن الصواب وان يعرف حدود فكره . ولكن من العجيب أن المرء كلما انساق وجرفه تيار سيل الاحساس في مجادلاته ومناظراته قال النـاس أنه صادق السريرة ، اذ لولا اقتناعه بصواب رأيه ما انساق مع الشعور الشديد في التعبير عنه وفي مناظراته. ثم يتخذون حكمهم بصدق سريرته حكماً بصواب رأيه والشعور المنفعل في انسان قد يستنبط مثله في غيره بالقدوة والايحاء وقد أوضح شارلز لامب في رسالة الأغلاط الشائعة بطلان هذا الرأي وهذا الحكم لأن الشعور الشديد قد يكون ناشئاً من النزعات النفسية التي قد تتخذ الفكر مطية لتبلغ به غايتها وان كانت غاية باطلة ، أو لتتخذه ستاراً يحجب عن صاحبها وعن الناس كنهها وحقيقتها المستترة وراء الفكر . وصدق السريرة إذا فرضنا وجوده في صاحب الشعور الشديد لا يمنع من الانحياز للباطل كما قال جوتا : أستطيع أن أعد أن أكون صادق السريرة ولكني لا أستطيع أن أعد بأن لا أنحاز مع صدق السريرة الى الباطل لأن صادق السريرة يجهل انحياز نفسه اليه بحكم صدق سريرته .

(٦) إن معرفة الصواب لا تمنع من مواقعة الأخطاء التي يصححها ذلك الصواب اذا كانت أخطاء متصلة بميول النفس فتكون حبيبة الى النفس، وتأبى العواطف على المرء إلاّ أن يعود اليها. وكذلك الخطأ في الأمور النظرية أو العملية التي ليست متصلة اتصالاً وثيقاً بعواطفنا تعود اليه بعد معرفة الصواب اذا لم يفسر وجه الخطأ وسببه ومكانه وحدوده تفسيراً مقنعاً يؤدي الى رسوخ الصواب، فان من يكتفي بشرح الصواب من غير نظر الى الأخطاء التي يقع فيها الناس ومن غير تفسيرها قد يبذل جهداً عظيماً ويتكلف مشقة هائلة، ولكن قد يكون عمله كله عملاً ضائعاً لا أثر له. وقد يتعجب لضياع عمله وجهده ويدهش لأن تعبه في شرح الصواب لم يثمر وذلك لأنه لا يفطن الى أن شرح الصواب لا يكفي اذا لم يشرح الخطأ أو الأخطاء اذا تعددت. وهذه قاعدة هامة في التعليم اذا أهملها المعلم ضاع عمله وحبط كل الحبوط. ومن أجل ذلك قد يظن المناظر ظنّاً باطلاً أنه فند رأي مجادله أو مناظره اذا شرح رأي نفسه ولم يلتفت الى رأي منافسه في المناظرة ولم يبين أوجه الخطأ فيه. وقبل أن يفعل ذلك ينبغي لكل مناظر أن يذكر رأي خصمه بدقة حتى يثق من أنه يعرفه تمام العرفان فلا يجادل فيما هو خارج عن الموضوع وهو يحسب انه موضوع رأي مناظره. وجوتا يحتم هذه الطريقة لأن الخروج عن الموضوع أمر كثير الحدوث.

(٧) ان الأفكار الصحيحة والمبادىء العامة المقبولة اذا اقترنت بغرور الانسان صببت اضراراً مخيفة فهو يحسب انه يعمل لهذه الأفكار والمبادىء، ولكنه في الواقع يعمل حسب ما يوحي اليه غروره، فتكون عواقب أفكاره وأعماله وخيمة. ولا شيء أضيع من فكرة ناضجة في ذهن غير ناضج فانها تكون مهما عظمت وجلّت عاقراً أو تنتج غير المنظور منها. وكل فكرة عظيمة عند بدء ظهورها تكون لها سيطرة طاغية. ومن أجل ذلك قد تنقلب مزاياها كلها أو بعضها الى نقائص وهذا بسبب اندفاع النفس في العمل لها من غير فطنة الى الأفكار والحقائق الأخرى التي تحدها.

(٨) اذا أكثر انسان من مجالسة غيره وأطال الحديث ولم يتملقه تصريحاً أو تعريضاً بأية وسيلة وعلى أي شكل كان التملق، حتى ولو كان مجاملة، ولم يشعره السرور في نفسه بنفسه بأية واسطة فان جليسه لا يسر بمجالسته، وقد يظن به الظنون ويشعر بانحراف عنه.

ومن أجل ذلك كانت المجاملة بالتملق من أهم أركان المجالسة والمعاشرة، ولا بد أن تكون من الطرفين لا من ناحية واحدة من ناحيتيها . ومن حاول أن يستغني عنها في معاشرة الناس حتى الذين يذمون التملق وجد نفسه مكروهاً ومجالسه كريهة بغيضة .

(٩) ان الحياء والشجاعة صفتان لا يمكن أن يحاكيهما انسان اذا خلا منهما، ولكل منهما مظهر واحد لا كبعض الصفات التي تتخذ مظاهر وألواناً متعددة. ومع ذلك فان بعض الناس مخدوع بهما فيحسب الحياء جبناً وذلة ، ويعد الصفاقة والقحة شجاعة ولولا كثرة المخدوعين في هذه الصفات ما زهد كثيرون في الحياء ولا تنافسوا في الصفاقة والقحة ، فان التقاتل على الحياة يدعو الانسان الى الفرار مما يعد ذلة كي لا يستذله الناس . ويرغبه فيما يخال شجاعة كي يخيف به الناس . ولا شيء يغيظ الناس مثل وجدانهم الشجاعة عند ذوي الحياء اذا اعتدوا عليهم اعتماداً على حلم حيائهم ، وعلى عدم الحياء ذلة، فلا يجدون ذلة ولا استكانة ، بل أن بعض ذوي الحياء اذا لم يجد محيصاً عن ذلك يبذ ذوي السلاطة في سلاطة لسانهم . وقد فطن شعراء العرب الى اقتران الحياء والشجاعة وعدوا ذلك الاقتران مثلاً أعلى كما قال الفرزدق :

يُغْضي حياءً ويغضي من مهابته   فلا يكلَّم الاَّ حين يبتسم

وقالت ليلى الأخيلية فيمن حياؤه يخال سقماً وهو في الحرب زعيم :

ومخرق عنه القميص تخاله   بين البيوت من الحياء سقيما
حتى اذا رُفعَ اللواء رأيته   تحت اللواء على الجيوش زعيما

وفي رواية (على الخميس) وهو الجيش . ومثل هذا أو أكثر مبالغة قول متمم ابن نويرة في رثاء أخيه وكان المرثيُّ سيد قبيلته .

فتىً كان أحيا من فتاة حييَّةٍ   وأشجع من ليث اذا ما تدرَّعا

ومثله قول الآخر

اذا قيلت العوراء أغضى كأنه   ذليلٌ بلا ذلٍّ ولو شاء لانتقم

(١٠) الحقيقة هي أن أغلاط المرء وأخطاءه وعيوبه هي التي تحببه الى الناس ما داموا

واثقين انها لا تضرهم لأنه بهـا ينخفض الى مستواهم ولا يرتفع عنه . أما لو كان معصوماً مُـنَـزَّهاً من العيوب أنكره النـاس أو حسدوه أو كرهوه . ومن أجل ذلك كثـيراً ما يلبسون الفضل ثوب العيب كي يكون حجة لـكرهه ، أو كثيراً ما يضحون بأناس كي يثبتوا أنهم أنفسهم على غير الصفات البغيضة التي يدعون كرههم من أجلها . وهذا الإسراع الى إثبات خلوهم منها يريب، إذ لولا وجودها فيهم ما تسرعوا بخلعهـا على غيرهم وكرههم بسببها، مع ان القاعدة السيكولوجية هي ان النفس ترتاح إذا عرفت اخطاء المرء أو عيوبه، حتى انها من ارتياحها واطمئنانها تعطف عليه في سريرتها، وتود لو شكرته لأنه بعث إليها الاطمئنان بنفسها على عيوبها التي تعرفها منها .

(١١) التملق دليل على ان المتملق لا يشعر بمحبة أو مودة لمن يتملقه ، فهو بالتملق يستعيض عنهما بدلاً كي يبلغ ما يريد ، ومع ذلك فإن الناس تعد كلامه دليلاً على المودة والمحبة والانصاف لأنهم لا يرون فيما يمدحهم به باطلاً ، بل مدحه لهم حقيقة وانصاف حتى ولو كانوا بجانب من عقولهم يشكون في بعض قوله، ويكون أكبر همهم اذا تملقهم انسان ليس البحث في صدق قوله، بل التأكد من انه لا يريد السخر بهم بذلك التملق . ولاسيما اذا غالى في عبارات التملق فإن المغالاة في التملق تكون أشبه بالسخر .

(١٢) ينبغي أن لا تتعجب إذا تحولت الصفات الحميدة بالتدرج الى شر مكروه، فإن معاني الصفات متصلة متدرجة في النوع والمقدار ، فقد تتحول الغبطة الى حسد، والحسد الى بغض، والبغض الى حب الشر، وحب الشر الى ارتكاب الآثام والجرائم. وقد يبدأ هذا التدرج بما هو أمر بريء ويصل الى ما هو شر مكروه. وذلك اذا استسلم المرء الى النزعات التي تحـدث هذا التحول . ومن أجل ان صفات النفوس متدرجة قد لا يفطن المرء إلاَّ بعد سنين طوال انه قـد استرسل من الصراحة في القول الى الثقة بالنفس، ومن عظم الثقة بالنفس الى الهوج في العمل ، فينزلق انزلاقاً بطيئاً لا يشعر به من الأمر البريء من العيوب الى ما يجمع الأضرار الكثيرة .

(١٣) في طبيعة الانسان عنـاد وتناقض فإنه يأبى أن يُرغَـم على ما فيـه خيره وفائدته، ويَرضى مختاراً أن يتقيد بما فيه ضرره. وهو اذا وجد نفسه راضياً مختاراً للتقيد

أكسبته مظاهر حرية الرضا والاختيار اطمئناناً وتعاظماً بافتتانه عن قيده وضرره . أما في حالة الارغام على ما فيه خيره، فإن غضاضة الارغام تحز في نفسه وتؤلمه فتلفته عما فيه من الخير وتُزَهِّدُه فيه، وهذان العناد والتناقض ظاهران في حياة الأطفال. وقد يعجب منهما الرجال ولو فحصوا عنهما في حياتهم لوجدوهما في نفوسهم أيضاً .

(١٤) أنظر في نفوس الناس ثم أنظر في نفسي فلا أجد خطأً من أخطائهم كان من المحال أن ارتكبه. وادعاء العصمة والترفع عن الناس أمرٌ ميسورٌ لا يكلف صاحب الادعاء مشقة. ولكن هذا الاعتراف من جوتا يتطلب شجاعة وعظمة نفسية لا تتفق لكل انسان وقد لام بعض الأدباء جوتا على اعترافه في كتابه الذي يترجم فيه حياته والمسمى بين الحقيقة والخيال إذ قال انه كان في عهد صغره يحلم يقظاناً في أحلام العظمة ان أمه حملت به سفاحاً من أمير جليل الشأن، وان أباه اذاً ليس الرجل الذي ينتسب اليه . وقد زكى هذه الشجاعة الكاتب الانجليزي سمرست موام في كتاب الخلاصة . على انه عاد بعد اعترافه الأول فقال : وكل ما حاولت عمله أو عملته وكان بسبب نزعات باطلة قد حاولت أيضاً ان أفهمه، وأن أتعلم منه، وان أدرس الدواعي اليه وأن أزيلها اذا استطعت .

(١٥) اذا تأمل الانسان جثمانه ظاهراً وباطناً في الأوقات المختلفة لا يعدم ان يجد وعكة أو نقصاً أو مرضاً أو ضعفاً، وكذلك اذا تأمل نفسه في حالاتها المختلفة . ومن أجل ذلك تدفع النفس نفسها دفعاً عن التأمل في صفاتها التي تكرهها أو تلبسها لدى نفسها لباس صفات أخرى، أو تتخذ لها حججاً وأعذاراً تزكيها . فقلما تفكر النفس في صفاتها بصدق وجد وإمعان وإنعام .

(١٦) قيل ان العمل ناشىء من الارادة، وقيل انه ناشىء من العرفان، ولكن الانسان لا يستطيع أن يعمل اذا أراد إلاَّ اذا كان يعرف ما يريد عمله. ومن أجل ذلك لا أرى في الحياة أمراً مخيفاً مثل أمر الرجل الذي يعمل وهو لا يعرف ما يعمل .

(١٧) اذا أرضينا غيرنا عَزَّانا ذلك عن عدم إرضائنا لأنفسنا عند محاسبتها في القول والفكر والعمل فتسر نفوسنا وتنتعش وتنشط — ويكون نشاطها اذا أرضينا غيرنا بالحق

ولكن من الأسف ان هذا قد يصدق أيضاً اذا أرضينا غيرنا بغير الحق وبعمل الباطل لأن ما نلاقيه من العطف والحث يغرينا به .

(١٨) في هذه الدنيا كثيراً ما يقيس الناس الرجل بالمقياس الذي يقيس به نفسه، على شرط أن يحدد قيمته ويلتزمها، لأنه يسهل على الناس بالقياس ان يعاشروا رجلاً اعترفوا له بقيمة معينة وان كانوا يكرهون عاداته . ويشق عليهم ان يعاشروا رجلاً لم يحدد قيمته ومنزلته، وجهلهم بها يضايقهم ويبعثهم الى الشك فتساورهم به الظنون .

(١٩) ليس الغُنْم في التفكير في عيوب الأصدقاء، ونقائص من نعرف، لأن التفكير فيها يؤدي الى القناعة بحالتنا النفسية على ما بها من نقص، ويؤدي بنا الى الغرور . أما التأمُّل في فضل الخصوم فهو الغُنم لأنه يؤدي بنا الى محاولة التشبه بفضلهم وبفضائلهم .

(٢٠) لابدَّ من أن تكتسب النفس من ضبط النفس بقدر ما تنال من الحرية لأن كل أمر يحرر نفس المرء من غير أن يعطيها قدرة على حُكْمِ نفسها يضرها ويدعوها إما الى الافراط وإما الى التفريط .

(٢١) أكثر شرور الحياة ناشئة إما من عجزنا عن أن نضع أنفسنا موضع غيرنا ، وإما من عجزنا أن نضع غيرنا موضع نفوسنا. والوضع الأول لو أمكن يزيل الحقد والحسد وسوء الظن، والثاني يزيل الغرور والأثرة والكبر وقلة مبالاة ما يعانيه الناس .

(٢٢) ان التجاذب ليست له قاعدة واحدة فبعض الناس يحب من يشابهه، وبعضهم يميل الى من يخالفه. ومن أجل ذلك نرى تجاذب الأشباه — وربما كان هذا أكثر — كما نرى تجاذب الاضداد. وقد يوجد تجاذب الأضداد بالرغم من تنافر وتخالف وتخاصم .

(٢٣) كثيراً ما يظن المرء اذا استطاع أن يعمل عملاً مرة واحدة أنه يستطيع أن يعمله مراراً فتظهر خيبته وعجزه إذا حاول ذلك الاَّ اذا فقهه وتمرَّس به، ولم تتغير نفسه ومقدرته. وأعجب من ذلك أن الانسان قد يظن أنه يستطيع أن يعمل ما لم يعمله قط اذا رأى غيره يعمله ، مع أنه لم يجرب قدرته ، ولم يكتسب مراناً عليه .

(٢٤) ليس بين الناس من لا يحسد صاحب المواهب العقلية الاَّ الأب ، فان الأب لا يحسد ابنه لأنه كان سبب حياته. وربما أقنع نفسه أن ابنه استمدَّ مواهبه منه . وقد علل

شوبنهور هذا الحسد بأن المرء قد يأمل أن يوفق وان تساعده الحظوظ فيكسب مثل بعض مال ذوي المال. أما ملكات العقل واستعداده فأمور طبيعية. ومن لم تكن عنده لا يطمع في حيازتها . ومن أجل ذلك كان الفكر مع الفقر محسوداً أكثر من الغباوة مع المال . هذا عدا أن صاحب المال يطمع الناس في نيل معونته ويصول بما يهيئه له ماله من النفوذ فيختفي حسد ذوي الحسد، بينما يكون صاحب الفكر معرضاً لسوء الظن بفكره ونتائجه وليس عنده مطمع لذوي الحسد ولا عنده سلطان المال.

(٢٥) بالرغم من أن شدة تعلق المرء بآماله تجعله يتوقعها حتى يصير في توقعه كأنها قد حدثت، فان حدوثها بالرغم من ذلك يكون مصحوباً بشيء ولو قليل من الدهشة والمباغتة وذلك من الشك الذي يلازم هذا التوقع مهما كان موثوقاً به. ولعل أثر رد الفعل في الاحساس يظهر ايضاً هذا الشك الذي يسبب الدهشة ، فان كل احساس شديد لا بد أن يكون له رد فعل كي تستقر الأمور ، اذ انه يعرف انه كان يغالط نفسه في انزال أمله منزلة الحقائق .

(٢٦) إن مجالسة النساء تكسب الرجال آداب السلوك لأنهم يتخلقون بما يناسب مجالسهنّ فيكتسبون رقة وحياء وآداباً، ويترفعون عن سعار المهاترة ورفث القول ، ولكن في البيئات التي يكون الرجال فيها قدوة للنساء، ولا يتورعون فيها من الاسترسال على طباع الخشونة والمجون اذا جالسوا النساء ، تتخلق النساء بهذه الطباع وأشباهها من الطباع التي سماها فلوبير «كانييري» أي الطباع الكلبية بدل ان يكسبنَ الرجال من آدابهنّ وحيائهنّ .

(٢٧) غفلة بعض الناس عن الحق قد تكون كالنوم الذي يجدد نشاطهم . فاذا استيقظوا ونُبِّهوا الى خطأ شعروا بنشاط مجدد في طلب الحق والصواب. ولكن غيرهم اذا لُفِتوا الى خطأ تتخاذل قوى أنفسهم ويظهرون الاستخذاء والاسترخاء ، والطائفة الأولى هي طائفة الفائزين.

(٢٨) قلما يهم المرء انتصار الحق إلاّ اذا كان انتصاره يُزكّي فكره وقوله. أما اذا كان لا يزكي فكره وقوله لم يهتم له ولجأ الى الباطل يتخذ منه حجة ولا يهمه بعد ذلك لو مات الحق لأن عنده ان الحق ما يرى ويقول أو يغالط نفسه وهو يعرف كذب ذلك.

(٢٩) ان الخلق القوي في انسان قد يستنبط الخلق القوي في غيره . وهذه النظرة تذكرنا قول جورج اليوت إن من لا ثقة له بنفسه قد يأنس الى من له ثقة كبيرة بها ، كما يأنس الذي أصابه البرد الى من أصابه الحر كي يفيد حرارة ، والخلق له عدوى وايحاء . ألا ترى ان الجندي يكتسب قدرة على تحمل الآلام وشجاعة برؤية قدرة وشجاعة غيره من الجنود في الحروب . وكذلك عدوى الخلق في الحياة اليومية .

(٣٠) يؤلمني أشد الألم أن أرى الانسان الذي جُعِل تاج الخليقة ورأسها وذروتها كي يُحَرِّر نفسه وغيره من حكم الضرورة القاسية بالفكر والعمل ، يفعل ضد ذلك بسبب الانحياز للباطل المُحَبَّب الى النفس فينغمر في حكم تلك الضرورة القاسية ويغمر غيره في حكمها. ومن أجل ذلك نرى حياة الانسان تتقدم بلا تقدم عصراً بعد عصر وترتقي من غير ارتقاء .

(٣١) اذا سمع الناس انساناً يمدح نفسه قالوا إن مدح النفس له رائحة كريهة. ولكن الظاهر ان أنوفهم لا تشعر بالرائحة الكريهة التي في ذمهم غيرهم وهو مدح معكوس لأنفسهم .

(٣٢) مما يُؤدِّي الى حيرة الانسان أنه إذا طلب أمراً واتخذ له وسيلة يركب الشطط في طلب الوسيلة ويغالي بها حتى يهمل الغاية وينساها في طلب الوسيلة فيحيد عما يريد ، لأن الوسيلة متى صارت غاية في نفسها قد يتخذ لها هي أيضاً وسائل مستقلة عن غايتها الأولى وقد تمنعه من بلوغ تلك الغاية الأولى وكذلك من يضع الغاية موضع الوسيلة .

(٣٣) إننا أسرع الى الاعتراف بأخطاء عملنا وأبطأ في الاعتراف بأخطاء فكرنا لأن أخطاء العمل لها عواقب ظاهرة بارزة من الصعب إنكارها ، أما اخطاء الفكر فقد تخفى أو تستطاع المغالطة فيها. ومع ذلك فمن الناس من يماري في اخطاء عمله ، وهي ماثلة أمامه ، إذ ينسب تلك الاخطاء الى غيره ، أو الى سبب آخر غير سببها .

(٣٤) إن الانسان مولع بأن يربط كل شيء بحياته وحاجاته . فصاحب الطاحون يشعر أن القمح إنما نبت ونما كي يعطي له عملاً بطحنه ، وكي تظل طاحونه دائرة. وقس على ذلك كل امور الحياة .

(٣٥) ان الانسان مشغوف بمعرفة المستقبل. وهذا الشغف سببه انه يميل الى تصديق حدوث ما يود ان يحدث فيه . وهذه صفة يعرفها الدجالون . ويبنون عليها أقوالهم عند ادعائهم كشف المستقبل .

(٣٦) في جميع العصور كانت الآحاد من الناس هي التي تعمل على تقدم العرفان . أما الجماعات والحكومات فإنها تتنازعها عوامل ودوافع مختلفة قد تؤدي بها الى تقييد العلم حتى في أثناء نشره (وفي كتاب أسباب تفاوت الناس للاستاذ هالدين فصل ممتع في هذا الموضوع) . وعلى أي حال فالحكومات والجماعات تعنى بجامعي العلم والحُفّاظ وأهل المرونة أكثر من عنايتها بذوي الفكر المستقل .

(٣٧) بعض الناس الذين تعبر حياتهم عن مبدأ أو فكرة قد لا يستطيعون فهم ما تعبر عنه حياتهم فيركبون الشطط، وينزلقون الى الخطأ والغلط . وقد كان نابليون يحتقر الأفكار قائلاً إنها نظريات قليلة الأثر ، مع انه كان يعترف بالعمل ان لم يكن بالقول ان الحياة الفكرية تبعث الحياة ، والفكر يبعث العمل .

(٣٨) عند ما يعمل انسان لا بد له من ان يرى أن نفسه أعظم من حقيقتها كي يستطيع أداء عمله . وهذا أمرٌ مغتفر بسبب ضرورة العمل إلاَّ اذا كان تَنَطُّسه في الثقة بنفسه يضر غيره أو يؤلمه أو يقلقه .

(٣٩) اذا عمل الانسان لخير غيره ونفعه فإنما يعمل كي يشاركه من يعمل لخيره في السرور بذلك العمل، ومن لا يستطيع السرور بالعمل لغيره يُضَرُّ ويُؤذَى بذلك العمل. والظاهر ان في هذا القول ما يخالف قول كانت (ان المرء لا يستطيع ان يحكم أن الواجب هو دافعه الى العمل إلاَّ اذا كان العمل يخالف نزعاته السارة وميوله المبتهجة) . ولو أن قول كانت حكمٌ بصعوبة معرفة الدافع اذا وافق العمل نزعاته السارة .

(للبحث بقية)

ع . ش

اضحكي يا نفسي

هذه الأجيال آمالُ   هذه الآمالُ أحلامُ
سهروا للمجد واحتالوا   وسعى المجد لمن ناموا
كلنا للزهر ميالُ   غير أنَّ الزهر لا يكفي
فإذا ما عدتِ بالشوكِ   فاضحكي يا نفسُ لا تبكي !

***

ها هي الأقداحُ ملآنه   ها هي الألحانُ والأزهارْ
حانة النسيان مزدانه   للذي يرغب أو يختار
فتعالي ندخل الحانهْ   خمرةُ النسيان قد تشفي
إنما هذا الصدَى منكِ   فاضحكي يا نفسُ لا تبكي

***

طال تهيامكِ يا نفسي   وبدوري طالَ تهيامي..
كم تُرى نحنا على رَمس   فيه تثوى بعضُ أحلامي
آه لو أهربُ من أمسي   آه لو أقوى على ضعفي
إن فعلي صادر عنكِ   فاضحكي يا نفس لا تبكي

***

ها هو الإيمانُ في قلبي   ساخرٌ بالكفرِ في عقلي..
أملي .. في رحمةِ الربِّ   ليس في الإنصاف والعدْل!
فاهدأي يا نفسُ في جنبي   واغفري واستغفري واصفي
هل تخلصتِ من الشكِّ ؟   ..فاضحكي يا نفسُ، لا تبكي!

القاهرة   يوسف جبرا

النقد والتعقيب

في الصحف والمجلات

معظم ما يطالعنا من نقدات أو تعقيبات في صحفنا ومجلاتنا ، لا أثر للدراسة فيه ، ولا جدوى للفكر من ورائه ، هي أشبه ما تكون بتوقيعات المجاملة ، أو الوخزات المؤذية ، أو النفثات الكريهة المنفرة . وندر أن نجد منها الذكي البارع ، أو الخلاّق النافع

وهذه مأساة تثير الأسى ، وتدعو الى الاهتمام اهتماماً كبيراً بهذه الناحية ، وتوجيه أصحاب الصحف والمجلات الى احسان اختيار الكتّاب والنقّاد ، خدمةً للفكر ، ومعاونةً للتأليف .

وعلى عكس حالنا هذا نكاد نلمس الاهتمام بالنقد في كثير من المجلات والصحف الاوربية ، حيث نجد نقدات وتعليقات مركزة حصيفة مدبجة بأقلام ضليعة ، تشرح للقارىء النقاط المهمة في التآليف ، بل تسجل بعض فقرات منها ، وتشوّقه الى اقتنائها ، وهذه هي الخدمة الحقة التي يؤديها كتّاب المجلات العصريون للتآليف والمؤلفين

وكان هذا ديدن كبار الكتّاب في أجيال غير بعيدة ، فقد كان الكاتب الانجليزي الجهير « ماكولي » يدرك مسؤوليته الأدبية قبل أن يخط حرفاً ، كان ينبث بذهنه في أعماق الكتاب ، ويتفهم روح كاتبه ، ثم يأخذ في الكتابة عنه ، وكان يَعُد الحكم على كتاب دون قراءة فياضة متعمقة ، ضرباً من الوقاحة المتغطرسة .

وكذلك كان الناقد العظيم « سانت بيف » يخصص الساعات الطويلة لكتابة مقاله الذي كان يظهر يوم الاثنين من كل أسبوع ، ويتناول فيه كتاباً واحداً ، وقد تعوّد هذا الناقد الفرنسي المثالي أن يخصص خمسة أيام لكتابة المقال ، ويوماً لمراجعته ، وقد كانت لكتاباته خطرها ونفوذها ، وكان هو ذاته قوة يُعمل لها كل حساب .

ونحن ، لا نؤمل ، في الوقت الحاضر ، الوصول الى مستوى مثل هذين الرجلين ، ولكنا ، نتطلع الى تعرف المسؤولية الفكرية الخطيرة التي تقع على عاتق الكاتب في مصر أو في غير مصر من البلاد الشرقية الأخرى ، وما تتطلبه هذه المسؤولية من أمانة قلمية ، وضمير أدبي نزيه في الحكم على نفثات الأقلام أو على قيم الرجال .

وتقتضي هذه الأمانة وذاك الضمير، فهم التأليف واستيعابه، والتجاوب مع كاتبه، ثم أعطاء صورة صحيحة للقارىء عنه، وللناقد أو المعقب، بعد هذا كل الحرية في نقده كما يشاء في أسلوب عفٍّ، مجردٍ عن اللمز أو الوخز.

فليس ريبٌ، أن التعقيب القائم على القراءة الطائرة، إخلال بالأمانة القلمية، والتعقيب العقربي اللاذع تخلٍّ عن العفة القلمية، والتعقيب الجزئي المغرض قتل للحقيقة، وأسوأ التعقيبات وأشدها إنما هو التعقيب الغيابي التحكمي الذي يدبجه الكاتب دون قراءة للعمل الأدبي.

وطرز هذه التعقيبات تفيض بها مجلاتنا وصحفنا. وقد كان بودنا أن نورد أمثلة لها، ولكن المقال يطول، ولهذا نقتصر على مثال واحد لهذه التعقيبات العابثة، التي أذهلت كثيراً من المثقفين في مصر. هي كلمة عوراء كتبها أحد شباب المتخرجين منها منذ عامين أو أكثر، يحمل فيها على الأستاذ سلامه موسى ويضع من أدبه وعلمه في عنف وضراوة!

لقد قرأنا هذه الكلمة، فعجبنا من هذه الجرأة بل من هذا الاندفاع الجنوني، في محاولة انتقاص رجل خدم الفكر والثقافة قرابة أربعين عاماً وأخرج في غضونها أكثر من ثلاثين كتاباً وبينه وبين هذا الشاب برزخ واسع من الثقافة والتجربة والعمر.

وكان عجبنا أعظم من صاحب المجلة الذي يسمح بمثل هذه الإندفاعات، وهو الأديب الجهير الذي يعرف تماماً، آثار الأستاذ سلامة على الفكر المصري، وان خالفه في المزاج الأدبي والاتجاه الثقافي.

وإزاء هذا العدوان لم يجد الكاتب الشاب النابه، الأستاذ وديع فلسطين بدًّا من انصاف الكاتب المفكر الجريء، فدبج مقالاً بمقتطف أبريل ١٩٤٩ عنوانه « سلامه موسى دعامة قوية من دعائم الفكر العربي » وكان مقالاً هادئاً نظيفاً متزناً، مركزاً، ضمنه مميزات الرجل الفكرية والانسانية، وعدّد فيه تآليفه وأبان فضله على الفكر العربي في مدى خمسة وأربعين عاماً». وقد قوبل هذا المقال من الخاصة بأجلى مظاهر الثناء والتقدير

وقوبل، مع الأسف، من الشاب المعتدي بالاستخفاف، والثورة العارمة على كاتبه فوصف المقال، بأنه مقال مضحك! وشبه كاتبه بالنملة التي اذا سئلت عن الذبابة: قالت إنها فيل كبير! وهكذا يكون أدب التعقيب، وجنوح المعقبين.

ولكنا مع هذا لا زلنا نطمع في أن يراجع المعقب موقفه، كما راجعه قبلاً من شوقي وعلي طه والحكيم، ونكتفي بأن نقدم له أسماء بعض الكتب ليقرأها ليروىء في حكمه ويصحح موقفه — نذكر منها: نظرية التطور وأصل الانسان — في الحياة

والأدب — التجديد في الأدب الانجليزي الحديث — الشخصية الناجعة — التثقيف الذاتي — كيف نسوس حياتنا بعد الخمسين — فن الحياة — حرية الفكر وأبطالها — أشهر الخطب، حرية العقل في مصر — ثم نردف هذه القائمة بفقرة رائعة جاءت في كتابه «تربية سلامة موسى» لعلها تعطي معقبنا الشاب المندفع صورة من الرجل الذي تجنى عليه في تسرع :

«ذات مساء في ١٢ يوليو من عام ١٩٤٦ كنت نائماً على الأسفلت في غرفة مظلمة في سجن الأزبكية مع نحو أربعين من المتهمين بالسرقة والقتل، وكانت تهمتي أني أكتب وأفكر .. وأخذت ذاكرتي تعرض فلم حياتي الماضية، فذكرت الحرية التي كنت أتمتع بها في عام ١٩١٤ حين كنت أكتب مقالات في «المستقبل» وذكرت العناء الذي لقيته في الدراسة والتأليف، وعددت نحو عشرين كتاباً ألفتها لأبناء وطني أخلصت فيها النية، وبذلت المجهود كي أنير وأعلم، وكي أسمو بالشباب الى مثليات القرن العشرين، وأخرجهم من ظلمات القرون الماضية، ثم تأملت حالي على الأسفلت الخشن، وكيف أني لم أجمع مالاً ولم أحصل حتى على الكرامة التي يستحقها من يخدم ويخلص في الخدمة .. وأخذت أفكر وأجترّ التفكير وعقلي يتضوّر من الألم، الى أن أصبح الصباح ... ..»

هذه صفحة جليلة نورانية مؤثرة من حياة الرجل الذي يتهجم عليه أحد المعقبين الشبان، وهي تلقي ضوءاً على رهبانية الرجل الفكرية، وزهده عن المادة، وتفانيه في توجيه الشباب الى الحضارة العصرية، ومجاهدة التقاليد البالية، والقيود الظالمة للفكر الحر، وان شئت آية أخرى من نفثات هذا الذهن الناضج فاسمع إليه في ص ٣٧ من كتاب التربية سالف الذكر يقول فيها :

«لست أبالي أن أكون ثرياً، لا بل لست أبالي أيضاً أن تكون لي زوجة وأطفال، وانما قصدي، أن أفهم، أن أعرف كل شيء وآكل المعرفة أكلاً !

«ثم عدت فقلت ولكن لماذا ؟ وأجبت لأكافح — أكافح هذا الشرق المتعفن الذي تنغل فيه ديدان التقاليد، وأكافح هذا الهوان الذي يعيش فيه أبناء وطني . هوان الجهل وهوان الفقر، أجل اني عدوّ للانجليز، وعدوّ لآلاف من أبناء وطني، لهؤلاء الرجعيين الذين يعارضون العلم والحضارة العصرية، وحرية المرأة، ويؤمنون بالغيبيات» .

هذه هي رسالة الرجل في كلمات، وتلخص في الدعوة الى ينابيع المعرفة، ومكافحة الجهل والفقر، والوقوف في وجه السلفيين الذين يعارضون الحضارة العصرية، وحرية المرأة ويخلدون الى الخرافات الغيبية، وما أنبلها رسالة، وما أجدر صاحبها بكل تقدير واجلال .

مصطفى عبد اللطيف السحرتي

النظام الاقطاعي

في عهد الرعامسة

في كتابي «لمحات من الدراسات المصرية القديمة» (١) الذي تفضل حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك فاروق المعظم بأن شرّفه بحسن القبول» كما أبلغ ذلك حضرة صاحب الدولة ابراهيم باشا عبد الهادي رئيس الديوان الملكي إذ ذاك الى وزارة المعارف». ذكرت أن ثمة نظاماً اقطاعيـًا كان يسود في عهد الملك ايخ — ان — آتون حتى السنة السادسة من حكمه، وقلت إن هذا النظام يمكن تسميته بإقطاعيات المعابد لأنه لايقوم على نفوذ أمراء المقاطعات المدنيين، وإنما يقوم على نفوذ أمراء المعابد الدينيين. إلاَّ أن الملك الشاب ايخ — ان — آتون، لم يستسغ هذا النظام فسرعان ما ثار ثورته المعروفة في السنة السادسة من حكمه في سبيل الخلاص من أولئك الكهنة الأمراء ومن نفوذهم، بل ومن معبوداتهم التي كانوا يتخذونها ذريعة لتقوية هذا النفوذ فألغى هذا النظام بجبروته وقوّة بطشه (٢).

وقلت كذلك في البحث المشار إليه إن هذه الظاهرة لم تكن قاصرة على عهد الملك ايخ — ان — آتون بل نجد لها نظيراً في كثير من العهود الفرعونية الأخرى حيث أتيح للملوك الأقوياء الذين كانوا على بينة من نوايا هؤلاء الكهنة أن يقضوا على هذه الظاهرة بتركيز القوة كلها في يدهم والتنكيل بكل من تحدثه نفسه باستغلال تسامح الملوك

* * *

وفي هذا البحث الجديد وضحت بعض الظروف التي استغلّ فيها الكهنة على عهد

---

(١) الكتاب الذي جعله (المقتطف) هديته السنوية الى مشتركيه الكرام في العام الماضي.

(٢) المقتطف عدد ابريل ١٩٤٥.

الرعامسة تسامح ملوكهم فجعلوا لأنفسهم مناطق نفوذ في مختلف الأقاليم متذرعين بما منحه الملوك في بادىء الأمر من الامتيازات لمعابد الآلهة المختلفة اعترافاً بجميل هذه الآلهة على ما ناله ملوك الرعامسة من انتصارات فيما كانوا يخوضونه من حروب أو توفيق فيما كانوا يرسلونه من بعثات .

فالواقع أن الرأي السائد بين علماء الآثار والتاريخ في مؤلفاتهم حتى اليوم أنه لم يكن للكهنة في عهد الرعامسة أي نظام اقطاعي ، في حين أن الحقيقة أن ملوك هذا العهد كانوا يضعون ثقتهم في كهنة معابد الآلهة المختلفة في الأقاليم المختلفة ، مما أدى بهؤلاء الكهنة الى استغلال هذه الثقة استغلالاً جعل لهم كثيراً من النفوذ في الأقاليم التي يباشرون وظائفهم الدينية فيها ، ولا سيما أن الظروف ساعدت بعضاً منهم على الاحتفاظ بهذا النفوذ زمناً طويلاً كما حدث لأحد كهنة معبد منف اذ استمرت سلالته تشرف على معبد بتاح وأملاكه طوال عهد الرعامسة أي ما يقرب من ثلاثمائة سنة منتفعين خلال كل هذه المدة بما يجود به الملوك المتعاقبون من هبات وأملاك لإلـه معبدهم حتى امتدّ نفوذهم في أواخر أيام الرعامسة — أي أواخر عهد الوحدة الثالثة — الى مدى بعيد .

هذا عن الالـه بتاح بمنف . أما عن كهنة الإلـه آمون فنلاحظ في عهد رمسيس الرابع أن كبير كهنة آمون المدعو نسى — آمون كان قد ورث منصب رئيس كهنة آمون عن والده المدعو رمسيس — نخت ثمّ ولى هذا المنصب بعد وفاته كذلك أخوه المدعو آمون — حوتب. في عهد الملك رمسيس التاسع مما يدلنا على أن أسرة هذا الكاهن تولت منصب رئاسة الكهنة زمناً طويلاً جدًّا يقابل عهد ستة ملوك من الرعامسة ، فاذا لاحظنا أن كلاًّ من هؤلاء الملوك كان بمجرد اعتلائه عرش مصر يجود بهبات وأملاك كثيرة لمعبد الإلـه آمون وضح لنا مقدار ما وصلت إليه أملاك تلك الأسرة من كهنة هذا المعبد وما بلغته من ثراء على أيدي ملوك الرعامسة وما وصلت إليه بالتالي من نفوذ على أملاكها .

أما عن كهنة الإلـه رع بعين شمس فلدينا قطعة أثرية بمتحف كوبنهاجن يتضح للمطلع عليها أن هؤلاء الكهنة كانوا يتوارثون رئاسة المعبد وأملاكه إبناً عن أب وظلت هذه حالهم مدة طويلة جدًّا لم ينقطع فيها نفوذهم على معبدهم وما يتبعه من أملاك .

وعلى الجملة فقد كان كهنة كل معبد من معابد الآلهة المختلفة يتوارثون مناصبهم الدينية وينتفعون بما يهبه لهم الملوك من أملاك ولا سيما أن المعابد وما تملك من أرض وحيوان كانت معفاة من الضرائب وإنه كان لهذه المعابد بيوت خاصة للذهب والفضة أي أن ميزانيتها كانت منفصلة عن ميزانية الدولة .

إلاَّ أن تسامح هؤلاء الملوك مع الكهنة جعلهم يطمحون الى أكثر من نفوذهم الديني بالتدخل تدريجاً في المسائل المدنية البحتة حتى أصبح بعضهم في وقت ما يجمع بين السلطتين الدينية والزمنية فنجد مثلاً أن رئيس كهنة الإلـه ست المدعو سيتي قد جمع بين الوزارة ورئاسة كهنة الإلـه ست في عصر الملك رمسيس الثاني .

بل لم يقف طموح الرؤساء الدينيين عند هذا الحد ، وإنما اتخذوا لأنفسهم لقب أمير أو بالمصرية القديمة ربعتي حاتي عا فكانوا بذلك يتشبهون بحكام المقاطعات تمشياً مع ما نالوه من نفوذ مشابه لنفوذ هؤلاء الحكام .

ومثال ذلك المدعو رمسيس نخت كبير كهنة آمون فإننا نجد اسمه منعوتاً بلقب الامارة وكذلك ابنه آمون حوتب تجد اسمه منعوتاً أيضاً بلقب الأمارة .

وتبعاً لهذا التدرج في النفوذ أصبح لكل من الكهنة بوليسه الخاص .

ومن ذلك نرى أن كل أركان النظام الإقطاعي قد توافرت لهؤلاء الكهنة إذ تعدَّدت مناطق نفوذهم تبعاً لتعدد مناطق نفوذ الآلهة في الأقاليم المختلفة فنرى الإله بتاح في منف والإلـه رع في عين شمس والإلـه آمون في طيبة والإلـه أموع رع في بر رمسيس (تانس) والإلـه تحوت في الأشمونين والإلـه أزوريس في أبيدوس والإلـه خنوم في الألفنتين (١) . وهكذا كما أن عنصر التوارث المعروف في النظام الاقطاعي قد توافر

---

(١) في النصوص التي وصلت إلينا حتى اليوم من عصر الوحدة الاولى والثانية نفهم أن كلمة « آبو » كانت تعتبر اسماً لجزيرة الفنتين وكانت تعتبر في نفس الوقت اسماً لمدينة اسوان . غير أننا نلاحظ أنه بابتداء عصر الوحدة الثالثة اقتصر استعمال هذه الكلمة على تسمية جزيرة الفنتين ، أما اسوان فقد بدأ المصريون القدماء يطلقون عليها اسم « سونو » التي اشتق منها الاسم الحالي « اسوان » لهذه المدينة فيما بعد . والرأي السائد في تفسير كلمة « سونو » ان معناها « سوق » ولكن الحقيقة أن معناها قد يكون كذلك ولكن يصح أيضاً أن نفهم أنهم كانوا يقصدون بها « حصن » ونأمل عند نشر نتيجة حفائرنا بجزيرة الفنتين هذا العام أن نوفي هذه النظرية حقها من الوجهة التاريخية والاثرية .

للكهنة فكان منصب الرئيس الديني يتوارثه الأبناء والأحفاد على مر السنين . ثم توافر لهم أخيراً صفتا الامارة واستقلال ميزانيتهم عن ميزانية الدولة ، مما يجعلنا نجزم بأن النظام

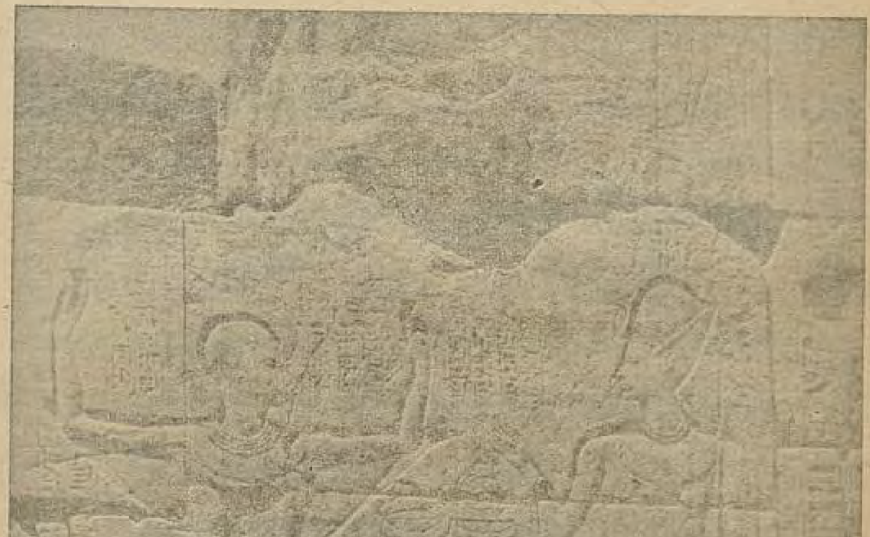

« الملك رمسيس التاسع يقلد رئيس كهنة آمون قلادة »

الاقطاعي بأركانه المعروفة إنما ينطبق على عهد الرعامسة مع فارق فني بسيط وهو أن هذا النوع الجديد من النظام الإقطاعي كان لأمراء المعابد بدلاً من أمراء المقاطعات المدنيين

وان هذه الصورة الجديدة من النظام الإقطاعي قد أحلَّت المعبد وممتلكاته محل المقاطعة ومشتملاتها وأحلت الأمراء الدينيين (أي رجال الدين) محل الأمراء المدنيين .

وأن الكهنة ما كانوا يصلون الى ما يبلغونه من نفوذ إلاَّ تحت ستار الدين واعتماداً على ما كانت تنطوي عليه قلوب الملوك من عقيدة دينية واحترام لرجال الدين حتى أننا لنجد أنه في عهد الملك رمسيس التاسع قد عمد كبير كهنة الإله آمون الى أن يرسم نفسه على جدران معبد آمون بالكرنك مساوياً في حجم صورته لصورة الملك نفسه . وهو الأمر الذي لم يحدث في تاريخ مصر القديمة كلها إلاَّ في هذه الحالة وحدها .

وهي الدليل القاطع على ما كان ينطوي عليه قلب هذا الملك من ديمقراطية حقة وتسامح كما أنها الدليل على مقدار سوء نية هذا الكاهن إذ استغلَّ عطف الملك عليه استغلالاً غير لائق. ففي الوقت الذي يقلده فيه الملك القلادة الدالة على عطفه عليه ورضاه عنه نجده يرسم نفسه في نفس حجم الملك محاولاً بذلك استغلال ما أعطاه الملك من نفوذ.

وليس معنى الإقطاعية التي سادت في عهد الرعامسة أنه كان لها أي تأثير على نفوذ الملوك في ذلك العهد لأننا على العكس إنما نلمس في ملوك ذلك العهد قوة وسطوة كبيرين حتى ان عهدهم إنما يدخل في عصر وحدة مصر الثالثة كما أشرت الى ذلك في كتابي «لمحات من الدراسات المصرية القديمة » إذ قلت إن هذا العصر قد بدأ على يد بطل حرب الاستقلال الملك أحمس الأول (١) واستمرَّ حتى عهد رمسيس التاسع وهو صاحب الصورة المنشورة في البحث الحالي والتي أشرنا الى أن كبير الكهنة المدعو آمون حوتب رسم نفسه فيها يتقبل القلادة الملكية. وقد قلت عن مزايا هذا العصر بما فيه عصر الرعامسة إنه يمتاز بازدهار في السياسة الداخلية والخارجية وبالحضارة ووحدة وادي النيل ، وقد بلغت قوة الملوك في هذا العصر حداً أصبحوا معه مسيطرين في نفس الوقت على النظام المالي والقضائي والإداري مما دفعني الى أن أفرد لبحثه من هذه الوجهة كتاباً خاصاً بعنوان « سلطة

---

(١) راجع ملخص رسالتي للدكتوراه Die Herrschaff der Hyksos in Aegypten

الملك وعلاقته بالوزير في عهد الرعامسة »(١) باللغة الألمانية وأجتهد حالياً أن أخرجه أولاً باللغة العربية يشجعني على ذلك عطف مولاي حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق المعظم نصير العلم وحامي رجاله .

فلم يكن إذن من أثر الحياة الاقطاعية التي سادت في عصر الرعامسة المساس بسلطة الملوك وإنما كان من نتيجتها أنه حينما توفى آخر ملوك الرعامسة ظهر ما ينطوي عليه الكهنة من مكر وكيد وسوء نية فتنازعوا السلطة بينهم بما أدى الى انقسام البلاد الى قسمين أو بالأحرى الى دولتين . إحداهما جنوبية عاصمتها مدينة طيبة ، وأخرى شمالية عاصمتها مدينة تانيس .

وكان هذا الانقسام المؤلم في مصر هو النتيجة الطبيعية لتساهل الملوك في هذا العصر مع رجال الدين ، مما أدى الى أن تقع مصر فريسة للفوضى الداخلية وللخطر الخارجي ، حتى قام الملك ابسمتيك الأول وهو الذي سميته في كتاب « لمحات من الدراسات المصرية القديمة » مؤسس عهد وحدة مصر الرابعة فأخضع المتمردين من الكهنة وأعاد الى مصر وحدتها وقوتها وقبض على أزمة الحكم في بلاده بيد من حديد(٢) .

وعلى ذلك ففي مصر التي تكونت فيها أول حكومة ملكية يلتف حول عرش مليكها شعبٌ واحد موحد الصفوف يؤلف بين قلوب أفراده حب الوطن والولاء للجالس على العرش ، لم يكن من الممكن أن يمس أحد هذا الولاء دون أن تدور الدوائر عليه ، ولاسيما وأننا نجد في عهد الرعامسة(٣) أن موظفي الدولة كما جاء في النصوص المصرية القديمة كانوا يشبهون عطف الملك عليهم بعطف الوالدين إذ يقولون : « إن الملك هو بمثابة الأب والأم لكل مواطن صالح »

دكتور باهور لبيب

مدير المتاحف الاقليمية بمصلحة الاثار المصرية

---

(١) الكتاب الذي أشار اليه الاستاذان شارف وزيدل في كتابهما : Die Rechtsgeschichte des alten Aegypten

(٢) أم مراجع هذا البحث منشورة في مجلة مصلحة الآثار المصرية آخر جزء لسنة ١٩٤٨

(٣) سأفرد لبحث « الملك الرئيس الاعلى للبحرية والبرية في عهد الرعامسة » كتاباً آخر

جويا

أمام متحف برادو بمدريد وعلى بضعة أمتار من مدخله الرئيسي أقيم تمثال لجويا أعظم فناني أسبانيا في القرن الثامن عشر تقديراً لأعماله والاعتراف بفضله في عالم الفن والاشادة بذكراه على ممر العصور .

وجويا هو ذلك الفنان الموهوب الذي ظهر بوجوده فن التصوير في أسبانيا ، كما أنه أول فنان تأثر بالثورة الفرنسية فظهرت أسبابها ومقوماتها والظروف التي دعت الى نشوبها من بؤس الطبقات وانحطاطها وكبت الحريات وتحكم الاشراف فيمن هم دونهم . ظهر كل ذلك في رسوم جويا ، فجاءت صوراً حيـّة واقعيـّة تعبر عما كان منتشراً في أسبانيا خلال القرن الثامن عشر . ولذلك اعتبر أول رسام واقعي لمن خلفه من الفنانين في القرن التاسع عشر .

وكان لتاريخ حياته وتقلبه بين الطبقات التي كانت سائدة في عهده صدًى كبير في تفكيره ، إذ استطاع أن يندمج في طبقتي الشعب والتغلغل الى كنهها، والوقوف على كثير من عيوبها ، فجاءت رسومه آية حقيقية واقعية لما يدور في أسبانيا، رسم بعضها بطريقة تهكمية لاذعة ، ناقداً تلك النظم السائدة ومساوئها .

ولد جويا في أراجون في ٣٠ مارس ١٧٤٦ ، فتشبع من صغره بالرسم ، وظهر ميله الى تلك الرسوم التي خطتها ريشته في مستهل حياته ، فتعلم على يد أحد الرسامين في سرقسطة ، وقويت رغبته في الرسم بصورة واضحة عند ما بلغ الثانية عشرة من عمره واضطر على إثر مشادة قتل فيها ثلاثة من رفاقه أن يسافر الى مدريد حيث استطاع أن يكمل دراسته، فاختلط بالطبقات المنحطة وتأثر بهم، وأخذ يدعو بريشته الى الثورة للتخلص من تلك القيود الاجتماعية التي فرقت بين الطبقات وأردت سواد الشعب الى الحضيض .

وفي مدريد اتصل بثلاثة من الرسامين . أحدهم هنج الألماني والآخران هوس ولويس ميشيل فان لو الفرنسيان . وجميعهم متضلعون في الرسوم الشخصية، فأخذ عنهم ذلك النوع من الرسم وأكمل فنه وبزّ أقرانه، إلاّ أنه لم يستطع البقاء في مدريد فاضطرّ الى السفر الى ايطاليا ، فاتجه صوب الساحل الشرقي مع إحدى فرق مصارعة الثيران. ومن ثمّ وصل الى روما بعد اعياء شديد، واختلط بالأوساط الفنية، ومنح الجائزة الثانية في المسابقة التي عملتها أكاديمية بارما . ثم عاد الى سرجوسا ثانياً حيث ظهرت باكورة انتاجه في الرسوم الفريسكو

التي زخرف بها كاتدرائية سرجوسا المشهورة ١٧٧١ Nuestra Senora Del-Pilar

وتزوَّج من أخت أستاذه Frencisco Bayeu الذي عهد اليه بوظيفة رسام بالبلاط الملكي فأنتج جويا بين عامي ١٧٧٦ — ١٧٩١ ثلاثاً وأربعين لوحة رائعة أظهر فيها من روائع الفن ما أدهش الآخرين بفنه وعبقريته في اظهار الظل والنور مع التلوين . ولما تشعه رسومه من روح وقوة لم يَنْسُجْ نحوها غيره من الفنانين في هذا المضمار فأعجب به الملك شارل الثالث وقد رسم صورته ، كما رسم صور أربعة ملوك تتابعوا بعده منها ، صورة شارل الرابع وزوجته ميرادو وغطاء رأسها ودونا تريزا ، كما صوَّر رجال القصر فصلحت حاله وذاعت شهرته حتى سمي رسام القصر ١٧٨٩ ؛ كما رسم صورة مدام البا والمركيزة دي لامرسيد وغيرها . ولم يصرفه عمله كفنان عن الخوض في غمار حياة القصر والطبقة الارستقراطية .

وفي عام ١٧٩٢ قاسى جويا من مرض كاد يصمه فاعتكف عن العالم غارقاً في أحلامه وهواجسه التي أرهفت حسه وزادت من تشاؤمه . وفي بداية ١٧٩٣ رسم بعض الصور الشعبية متأثراً بالظروف التي كانت سائدة في فرنسا في القرن التاسع عشر فجاءت لاذعة تنقد الحياة الاجتماعية ، وتعرف تلك الصورة « بالأهواء » منها رسم قسيسين يعبدون في غير ورع ولا خشوع . كما رسم دور الغوغاء والسفاكين وغيرها . وهذه الصور وان لم تنم على جمال وتقاليد فنية حية كالتي نراها في الرسوم المسيحية كمناظر الرعاة — فانها تكشف عن مرارة وهتك الحقيقة التي بلغت أوجها في المناظر الساحرة كتلك التي رسمها على جدران منزله في منزنار، وهي تمثل خرافات العرافات والأحلام المزعجة كصور Caprices & Disparates.

واستطاعت الحرب عام ١٨٠٨ تركيز همه في زيادة قوته والنشاط في عمله ، فصور فظاعة الحرب وأهوالها في رسوم كاريكاتورية . ومنها صورة تمثل هجوم أهالي مدريد على المماليك في اللوحتين المعروفتين بـ « ٢ مايو ، ٣ مايو » وفي هاتين اللوحتين ظهر الشعور الاسباني وعصبيته الدينية ورغبته الملحة في الاستقلال وتمثيله بالأتراك طلباً للحرية .

ولما أحسَّ ان الطبقة الحاكمة بدأت تفهم مقاصده ، وتحريضه للثورة وتهكمه على رجال الدين، سافر الى فرنسا حيث مات في بوردو ١٨٢٨ . وفي الفترة الأخيرة من حياته لم يفكر إلا في التصوير والنحت ، فنحت بعض الرسوم كمصارعة الثيران وهو موضوع عرفه أيام صعلكته ومات بعد ان ترك ثروة فنية هائلة أثارت دهشة الفنانين الآخرين لقوتها الفياضة الممثلة في الحوادث البريئة والمزرية ، كما فتحت أعمال جويا آفاقاً جديدة في الفن في عالم الخيال والحقيقة . ولم تكن رسومه قاسية أو محزنة كما يظن البعض، وإنما كانت ثورية ولم يكن جويا فناناً ارستقراطيًا ، وإنما كان رساماً، ولده الشعب للشعب، لأنه رسم لهم أكثر مما رسم لخاصتهم، وأول رسام للقصر كما انه أول رسام للثورة .

محمد رجب البيلي

حافظ وشوقي (١)

ما الشعر ، وما هي اتجاهاته ، ولماذا نعشقه ، وما قيمته في الحياة الانسانية ؟ .

أسئلة قد تخطر على بال بعض القراء ، وليس من السهل الجواب عليها في كلمة واحدة . وانما يمكن أن نقول ان الشعر هو لغة العاطفة والخيال . وهو قبل كل شيء مادّة وروح ، وأعذب الشعر ما كانت روحه أغلب على مادته .

وروح الشاعرية كامنة في الانسان والحيوان والطبيعة . وهي في الانسان أحاسيس يحركها الحزن والفرح والضحك والبكاء . وهي في الحيوان أصوات تتجاوب في الأحراج والغابات بين زئير الأسد وبغام الظباء وغريد الطيور ونقيق الضفادع وفحيح الأفاعي . وهي في الطبيعة ، في جمالها الرائع ومناظرها الخلاّبة بين الجبال الشاهقة والصحاري المقفرة والبحار الصاخبة والجداول المترقرقة والمروج المنبسطة بما تحمله في دويّ العواصف وهزيم الرعد ، ووميض البرق ، وهدير الموج ، وحفيف الغصون ، وهمسات النسائم .

ولغة الإنسانية هي أقوى ترجمان ينطق عن هذه الأصوات ، ويعبر عما ترسمه في نفسه من تهاويل ونقوش . وأن الانسان ليرقى بمدنيته ومشاعره في اتقان هذه اللغة العميقة فيهذب منطقه ويصفو وجدانه وتتضاءل منه شرور الحيوانية العمياء .

والشاعر الصادق ككل صاحب فنّ وذوق تملك حب هذه اللغة فاستطاع أن يخلق من نبرات الألفاظ كائنات حية في معناها وكأنها منحوتة من أوصاله أو متدفقة من قطرات دمه .

ولكن أين هو الشاعر الصادق ؟

يقول الناقد الانكليزي الكبير « وليم هازليت » في معرض نقده للشاعرين « بوب » و « وريدن » . « لم يكن « بوب » مميزاً كشاعر رقيق له خيال واسع وحاسة مشغوفة بجمال الطبيعة ، لا ، ولم يكن متأثراً بانفعالات القلب وخلجات العواطف . ولكنه كان حاضر البديهة ذكياً ناقداً نافذ البصيرة . وقد تجمل الدنيا ببراعة الحذق وصياغة الفن ، وإذا شئت فقل اذا زخرفها الفن . وفي سرعة الخاطر وحدة الذكاء مجال لامتلاك هذه الناحية . على أن

---

(١) رسالة لصديقنا الاديب الكبير الاستاذ حسن كامل الصيرفي

(پوب) كانت تهزه مشاعره في بعض الأحايين فينطق بما لا يقال، مما كان سبباً لنفور أسرته وأصدقائه منه .

« وقصارى القول إن پوب كان شاعراً للفن لا للطبيعة ، والفرق بين الاثنين كما أراه ، أن شاعر الطبيعة يتأثر بما تخلفه في نفسه صور الجمال والقوة والشهوة الجاثمة على صدره .

وكيفما كان الجمال وحب العظمة وسحر الطبيعة في جلالها الأخاذ ، مضافاً إليها ما ضمنته الأفكار والآراء وما حوته القلوب والأفئدة ، فإنها جميعاً من خصائص الشاعر العالق بالحق المتعمق في بواطن الأشياء المندمج في مشاعر الناس في كل زمان ومكان . لأنه قطعة من الطبيعة ذاتها ، لم يخلقها وإنما خلقته . وكان له مريدوه من قراء شعره مهما تباينت عواطفهم واختلفت مداركهم . ذلك لأنه ينظر للاشياء كما تبدو في تكوينها الفطري ، فيشعر منها بما يوائم طينته ويتفق والأوضاع كما أبرزتها الطبيعة في أشكالها وألوانها » .

« هكذا كان هومير وشكسبير » .

«فقد كانت أعمالها الرائعة مشتقة من الطبيعة ، لأنهما كانا صورتين صادقتين منها . نبتا من جرثومتها كما يتفجر الينبوع العذب من باطن الأرض . قوّة الخيال فيهما ما هي إلا القوة التي استحدثت هذه البدائع الخالدة .

ذلك شأن « پوب » . لم يكن شاعر الطبيعة أو في مقدمة رجالها ، لأنه كان ينظر اليها مطرزة بالفن ، موشاة بالصنع . يزينها الملبس ويغطيها الثوب ، فاصطنع شعره من نسيج غيره لا من ذات نفسه » .

ويرمي « هازليت » في قوله عن الفن الى أنه الصناعة كما يفهم من مدلول عباراته . والكلمة في تفسيرها تعني ذلك . ففي القاموس أن فنّ الشيء زيّنه . وإنما أخذها المحدثون واستعملها المعاصرون على أنها الذوق الأصيل .

ولا يعدو رأي « هازليت » آراء عظماء النقاد والكتّاب في الشرق والغرب يستوي في ذلك القدماء والمجددون . ويروي ابن قتيبه في كتاب « الشعر والشعراء » « لم أسلك فيما ذكرته من شعر كل شاعر مختاراً له ، سبيل من قلد أو استحسن باستحسان غيره ، ولا نظرت الى المتقدم منهم بعين الجلالة لتقدمه ، والى المتأخر منهم بعين الاحتقار لتأخره ، بل نظرت بعين العدل على الفريقين ، وأعطيت كلاً حظّه ، ووفرت عليه حقه » .

« فإني رأيت من علمائنا من يستجيد الشعر السخيف لتقدم قائله ويضعه في متخيره ، ويرذل الشعر الرصين ولا عيب له عنده إلا أنه قيل في زمانه ، أو أنه رأى قائله » .

«ولم يقصر الله العلم والشعر والبلاغة على زمن دون زمن ، ولا خصّ به قوماً دون قوم بل جعل ذلك مشتركاً مقسوماً بين عباده في كل دهر ، وجعل كل قديم حديثاً في عصره ، وكل شرف خارجية(١) في أوله» .

مما تقدم يتبين أن الشعر مادة وروح ، وأعذبه ما كانت روحه أغلب على مادته . ويقول صديقنا الأستاذ حسن كامل الصيرفي في كتابه «حافظ وشوقي» عن فن الشاعرين «وأول ما يلاحظ على فن شاعرينا «المادية» التي لم يستطيعا أن يبرأا منها حتى في الأوصاف التي تنأى عن المادية ، وقلّ أن تصفو صورهما منها . فشوقي مثلاً — وهو أقل من صاحبه انغماساً في هذه الناحية — حين يصف منظراً طبيعيّاً لجريان الماء وخريره يصفه كأنه وضح العروس تبينه وتصيته» . ولكن شوقيّاً كان يتجه صوب الخيال في كثير من قصائده ، وبخاصة ما كان متصلاً بالطبيعة ، على أن اتجاهه ناحية الخيال لم يكن استغراقاً في الطبيعة ولكن كان افتتاناً حسّياً أكثر منه احساساً روحيّاً» .

وهو قول لم يعد الصواب بل صادق كل الصدق في حكمه .

وصديقنا الأستاذ الصيرفي ليس بصديق اليوم ، فهو صديق الشباب ، ظللنا على مودتنا الوطيدة لم يمسسها خلاف في الرأي أو تعصب في القول . وبقي كلانا له ناحيته وعقيدته ، ومودتنا على ما هي لم تشبها شائبة ، مزاجها الحب والصفاء . نلتقي ونفترق كأحسن ما يكون الصديقان . لا نعرض لفكرة الا ويحترم كل منا لصاحبه رأيه فيها دون تعنت أو اصرار ، ولا ينقلب الرأي الى نقاش وجدال يصدران عن تشيع وتحزب بغيض .

وقد تناول صديقنا الصيرفي «حافظ وشوقي» بتقدمة عنهما وعن موسيقاهما وثقافتهما وشعرهما السياسي وحبهما للطبيعة وقوة الرثاء فيهما وأثر المرأة في شعرهما ، ثم عرج على مقارنة بينهما في قصائد نظماها في مناسبات حركتهما معاً ، وبسط للقارىء اتجاه كل منهما مشيراً الى ما ذكره بعض كبار النقاد أو الشعراء عنهما معلقاً برأيه الخاص في الاثنين . ثم انتهى الى معارض التاريخ سارداً أثر التاريخ القديم والاسلامي في أشعارهما . وانتقل بعد ذلك الى فنهما فالخاتمة ، منوّهاً الى ان ما ذكره ما هو الا دراسة أوحت بها ذكرى الشاعرين بمرور خمسة عشر عاماً على وفاتهما على نطاق محدود» .

والحق أن هذه الدراسة — وان اعتذر صديقنا بضيق نطاقها — تنم عن نظرة خالصة تظهر الشاعرين كما هي دون تحيز أو محاباة لهذا أو ذاك وانما يعرض للقارىء ما احاط بهما

---

(١) الخارجي — الذي يخرج ويشرف بنفسه من غير أن يكون له قديم . ومنه الخارجية ، وهي خيل لا عرق لها في الجودة ، تخرج سوابق ، وهي مع ذلك جياد .

من ظروف الحياة ، ويذكر مواضع القوة والضعف في القصيدة معللاً أسبابها تعليل الشاعر الفطن اللبيب .

لم أر حافظاً وشوقياً إلا عرضاً في الطريق ، وكانت ترتسم على الأول خطوط فيها البؤس والكآبة والإشفاق ، وكان يمشي متمهلاً وقد عراه ضعف الشيخوخة . ولمحت شوقياً يسير مسرعاً كثير التلفت وكأنه يسترعي انتباه الغادين إليه . وفي مرة كنت وصديقاً لي على مقربة منه ، فأومأ صديقي إليه يذكره فما كان منه إلا أن هرول الى الاختفاء عن أنظارنا . وهذه القسمات والحركات قد تعطي للفكر صورة غير قاطعة عن طبيعة كل منهما ، يزيدها التفرس في حياتهما وأشعارهما جلاء . وربما جاء الحكم على غير ما صوّره الحدس في النظرة الأولى .

غلب على حافظ التشاؤم إذ عانى ما عانى من بؤس وشقاء لولا أن سانده عطف الأستاذ الامام وحدبه عليه في مستهلّ حياته . فلما مات الامام وأعقبه من بعده الزعيم مصطفى كامل ، ضاقت الدنيا بحافظ ولم يجد له سبيلاً للعيش . وارتفع شأن الوصوليين ، ورأى أن الشعر وحده لا يغني عن الحياة شيئاً ، فآثر اللجوء الى وظيفة تقيم أوده وتؤدي بلغته .

أما شوقي فكان يملك من الغنى الموروث ما يصونه ويصرفه بكليته الى صقل ثقافته بالدرس والتحصيل والتغلغل في الطبيعة وابراز صورها الرائعة الجميلة . ولكن غلب عليه حب الشهرة والظهور يبحث وراء كلمات المدح والاطراء فيستزيده ذلك من القناعة بمجاراة معاني القدماء !!

ولسنا نقيس بهذا القول شاعرية كل منهما ، وإنما قد يكون من المناسب أن نرجع الى ما قلناه آنفاً الى الخصائص الأولية الواجب توافرها في الشاعر المطبوع . فلا شك في أن حافظاً وشوقياً كانت فيهما شاعرية ولكنها شاعرية محدودة لم تصل الى أعماق الطبيعة . فهي شاعرية سطحية عمقتها ريشة الفنان !! .

عاش الشاعران معاً في جوٍّ داجن لم يلقن الشعر فيه إلا أنه قاصر على المدح والنسيب ، والتقدم بإعلاء شأو هذا ورفع ذكر ذاك . فضلاً على التمسك برضا الحاكمين وأصحاب المناصب والأمر . وقد حاول شوقي أن يتنصل من هذه الطريقة ليظهر كشاعر مجدد ، إلا أن هذا التنصل لم يخله من الإسفاف الذي تورّط فيه كثيراً بحكم مركزه وصلته .

على أن ما يعاب في قصائد المديح لا أنها نظمت في المدح ، فمن المدح ما صدر عن عاطفة جياشة وصدق في القول وانما يعاب المدح ، وكان أكثر ما يقال ، في النفاق والتملق

والمداهنة التي يكيلها الشاعر للذات التي يطريها . وأنها لتبدو جلية في القول يمجها السمع وتعافها النفس .

كان شعراء العرب في الدولتين الأموية والعباسية يمدحون ويسجلون الحوادث وأثر الممدوح فيها ، فمنهم من كان يمدح عن إيمان وصدق وعن حب ووفاء . فاذا تابعت رجلاً منهم كأبي تمام وكانت منزلته لدى الرؤساء والشيوخ على أعظم ما تكون الصلة والعطف ، إذا تابعته في قوله يمدح الوزير محمد بن عبد الملك الزيات — وكان له صديقاً — في قصيدته التي أولها .

لهان علينا أن نقول وتفعلا   ونذكر بعض الفضل منك فتفضلا

فإنك تجد فيها مثلاً للمدح الناطق بالولاء الطاهر ، يقول للوزير ما يراه دون تحرُّز ويتقدم اليه يستأذنه في الرحيل عنه وعن بغداد .

سأقطع أمطاء المطايا برحلةٍ   الى الوطن الغربيّ هجراً وموصلا
الى الرحم الدنيا التي قد أجفّها   عقوقي ، عسى أسبابها أن تبللا
قبيلٌ وأهلٌ لم ألاقي مشوقهم   لوشك النوى إلاَّ فراقاً كلا ولا
كأنهمُ كانوا لخفّة وقفتي   معارف لي أو منزلي كان منزلا
ولو شئت لما التاث برّي عليهم   ولم يكُ إجمالاً لكان تجمُّلا
فلم أجد الأخلاق إلاَّ تخلقاً   ولم أجد الأفضال إلاَّ تفضلا
وأصرف وجهي عن بلادٍ غدا بها   لساني معقولاً ، وقلبي مقفلا

ومنها :

لئن همي أوجدني في تقلبي   مآلاً ، لقد أفقدنني منك موئلا
فإن رمت أمراً مدبر الوجه أنني   لأترك حظًّا في فنائك مقبلا
وإن كنت أخطو ساحة المحل أنني   لأترك روضاً من جداك وجدولا

فهذا الشاعر يخاطب الوزير بما في نفسه ولا يعيبه أنه يمدحه وانما يخاطبه وهو يعلم أنه يخاطب روحاً مثله تحبه وتؤثره وتقدر عواطفه ومكانته .

وقد روي أن أبا تمام قدم يمدح الحسن بن رجاء ، فأنشدهُ قصيدته التي أولها

كفّي وغاك فانني لك قالي   ليست هوادي عزمتي بتوالي

فلما وصل الى قوله في الممدوح

لا تنكري عطَلَ الكريم من الغنى   فالسيل حربٌ للمكان العالي
وتنظري خَبَبَ الركاب ينصّها   محيي القريض الى مميت المالِ

قام الحسن بن رجاء وقال لأبي تمام ، والله لا أتممتها إلاَّ وأنا قائم ، فقام أبو تمام لقيامه وقال :

لما بلغنا ساحة الحسن انقضى   عنا تملك دولة الأمحال
أغلى عذارى الشعر أن مهورها   عند الكرام اذا رخصنَ غوالي

الى آخر الأبيات

فتعانقا وجلسا . فقال له الحسن ، ما أحسن ما جليت هذه العروس ، فقال أبو تمام ، والله لو كانت من الحور العين لكان قيامك أوفى مهورها . وكافأه الحسن على ما اشتهر به من البخل بأحسن عطاء .

ونمسك عن الاستطراد في الحديث فانه ذو سعة ، ولنعد الى حافظ وشوقي ،

كان حافظ وشوقي يتخذان من المديح وسيلة للزلفى الى قوم لم يكن منهم للغة بله الشعر تقدير ، وكانوا يفهمون الشعر على أنه ضرب من الصناعة يصاغ لابتزاز المال . ولم يكن للشاعرين في الوقت نفسه قدر من الاعتزاز بالشخصية التي تكسب الشاعر هيبته وعظمته ، كما لم يكن لهما من الثقافة الواسعة ما يؤهلهما الى ادراك الأشياء على حقائقها وتفهم مناحي الفلسفة والعبقرية.

وإذا كانت طبيعة حافظ حفزته في أول عهده الى أن يكشف عن جوّ الحياة القاتمة في زمنه الرازح ببطش الاستعمار والطغيان ، وما امتدَّ حوله من ظلم وخطوب ، فان طبيعة شوقي لم تدرك الاَّ مناعم القصور ورقة الترف لا يمازجها الألم الممض الذي يستفز المشاعر الانسانية ، فظلَّ حتى أواخر أيامه مولعاً في نظم قصائده بالأصباغ والألوان ، لا يعلق الاَّ بالتشبيه والاستعارة ومعارضته قصائد القدماء ليقال إنه يبزّهم . فاذا جرح الزعيم سعد زغلول حين اعتدي عليه ، كان مثله كمثل عثمان حين قتل ، وإن آثار الدماء التي سالت على قميص سعد تشابه الدماء التي سالت على صفحات القرآن الذي كان عثمان يتلوه حين قتل ، ولو مات سعد في اصابته لغيب (عمرو الأمور) و (أخلى من المنابر سحبانها !)

واذا وصف النخيل لا يذكر إلاَّ فصوص العقيق مفصلة بشذور الذهب وأن النخيل (ملك الرياض أمير الحقول ، عروس العزب !! ..) وأن ثماره طعام الفقير ، وحلوى الغنيّ وزاد المسافر والمغترب !! ..)

فهل هذا شعر تنفثه الروح وتسطره الأخيلة ؟! ..

إن الذين يأخذون الشعر على ألفاظه ليقولون لك هذا أبدع الشعر وأحلاه .. وأي رقة

أعذب من هذه الكلمات الرقيقة المرصوفة كأنها اللآلىء المكنونة !! .. والتي قلّ أن يجود بها الزمان من شاعر مثل شوقي !! ..

وكما كان الشاعران بعيدين عن الجلال والعظمة الانسانية ، لم يكن لهما من الثقافة العالية ما يدفعهما الى التغلغل في صميم الأشياء . وفي مناسبة واحدة وهي موت تولستوي الفيلسوف الروسي الكبير عام ١٩١٠ ، رثاه شوقي بقصيدة وأعقبه حافظ بأخرى من بحر وقافية شوقي . فما الذي قالاه ؟ .. قال شوقي : —

(تولستوي) تجري آية العلم دمعها   عليك ، ويبكي بائسٌ وفقير
وشعبٌ ضعيف الركن زال نصيره   وما كل يوم للضعيف نصير
ويندب فلاَّحون أنت منارهم   وأنت سراج غيَّبوه منير
يعانون في الأكواخ ظلماً وظلمة   ولا يملكون البث وهو يسير
تطوف كعيسى بالحنان وبالرضا   عليهم ، وتغشى دورهم وتزور

* * *

ويبكيك ألف فوق (ليلى) ندامةً   غداة مشى بالعامريّ سرير

* * *

إذا أنت جاورت المعرّي في الثرى   وجاور (رضوى) في التراب تبير
وأقبل جمع الخالدين عليكما   وغالى بمقدار النظير نظير
فقل يا حكيم الدهر ، حدِّث عن البلى   فأنت عليمٌ بالأمور خبير
أحطت من الموتى قديماً وحادثاً   بما لم يحصل منكرٌ ونكير

وأعقب حافظ يجاري شوقي في قصيدته هذه التي اقتضبنا منها الأبيات السالفة .

رثاك أمير الشعر في الشرق وانبرى   لمدحك من كتّاب مصر كبير
ولست أبالي حين أرثيك بعده   إذا قيل عني قد رثاه صغير
فقد كنت عوناً للضعيف ، وأنني   ضعيفٌ ومالي في الحياة نصير

* * *

إذا زرت رهن المحبسين بحفرة   بها الزهد ثاوٍ والذكاء ستير

وأبصرت أنس الزهد في وحشة البلى وشاهدت وجه الشيخ وهو منير
وأيقنت أن الدين لله وحده وأن قبور الزاهدين قصور
فقف ثم سلِّم واحتشم إن شيخنا مهيبٌ على رغم الفناء وقور

فالقارىء يرى من الأبيات التي ذكرناها من القصيدتين أن كلا الشاعرين نظر الى تولستوي نظرة سطحيةفقارناه بأبي العلاء على انه مثاله في زهده وتنسكه وعزوفه عن الدنيا مع أن كلاً منهما يختلف عن الآخر في الاتجاه والنظرة الى الحياة، فتولستوي كان من سلالة أصحاب الأقطاع في روسيا وعاش في أوساطهم وحارب في جيش القيصر. وظهرت الاشتراكية فدان بها وانقلبت الآراء في ذهنه فكرّس نفسه لخدمة شعبه والدعوة الى رفع مستواه حتى انه وزّع ما يمتلكه من أراض على عمال ضيعته ولبس لباسهم واشتغل معهم. أما أبو العلاء فقد عاش في ضنك لا يجد من الحياة الاَّ ما ينفره منها ويقصيه عن ملاذها كان مقبض النفس لا يرى معنى للوجود أو صورة للبقاء.

ولقد استهلَّ حافظ قصيدته بالتمسّح «بأمير الشعر في الشرق»، والذي نعلمه أنه في ذاك الوقت كان يتردَّد على شوقي ويلازمه بحكم منزلته لدى الخديوي ليسعى له في الوظيفة التي يرومها لمعاشه.

وشوقي هو شوقي في أغلب قصائده لا بدَّ له من الاستعارة، فرحمة عيسى وليلى العامرية والمعرّي وسحبان ووائل، ورضوى وثبير، يزج بها في كل مجال دون اعتبار للموقف أو وزن الموضوع، وكأنها أقانيم يحوم حولها ولا يتخطاها. ولو اتسع المقام لذكرنا الكثير من المآخذ في السياق، ولكن الحديث عن حافظ وشوقي يطول.

أنهما في اعتقادي شاعران لزمانهما وجيلهما، ولكلٍّ منهما منحاه. وأن صديقنا الأستاذ الصيرفي ليستحق الشكر والثناء على ما بذل من جهد في تصويرهما على ضوء الحقيقة وعلى مسرح الحوادث التي تتابعت في أيامهما، فجاءت رسالته لا كم قل في نطاق ضيق، بل منافذ مفتوحة لحياة الشاعرين ودراسة دقيقة لم يشبها حشو مملول أو تكرار ممجوج.

القاهرة عبد السلام رستم

سوق الغرور

لوليم ماكبيس تاكري

— ٢ —

وبينما قلب « إمى » الصغير يعاني ما يعاني من لواعج الحب عادت الآنسة « كرولي » إلى بيتها في « بارك لين » تصحبهما صديقتها العزيزة « بكى » التي كان عليها أن تعني بها قليلاً . ذلك لأن الخمر المعتقة . وذلك الشهي من ألوان الطعام قد أضرا بها قليلاً .

ولم يكن آل « بريجز » . وهم الصحاب القدماء للسيدة العجوز براضين أبداً عن مجيء « بكى » . ولقد زار الكبتن « رودن » عمته غير مرة . فقد كانت ثكنات فرقته تقع في مكان قريب . ولا شك أنه أتاح لنفسه نظرات خاطفة الى محاسن « بكى » الفاتنة .

وحين تقدمت الآنسة « كرولي » إلى الشفاء بفضل تطبيب الآنسة « بكى » البارع . تتالت الرسائل من سير « بت » يلح في طلب عودتها . ولكن أخته لم تكن لترغب أن تفارقها صاحبتها الظريفة التي طالما سرّت عنها مُلحها ولطائفها وظل صاحبنا يكاد يتميّز من الغيظ . وقد طال به الى « بكى » شوقه وحنينه

وعادت الصحبة بين « أميلي » و « بكى » سيرتها الأولى . بعد أن تولاها الذبول قليلاً . ذلك لأن كلتا الفتاتين كانتا مشغولتين بهموم النفس .

وجاءت الأنباء معلنة موت « لادي كرولي » ولو أن أحداً لم يبكِ على تلك السيدة التعسة . ولما حضر سير « بت » الى المدينة لعمل من أعماله الكثيرة . جاء بنفسه يرجو الآنسة « بكى » أن تعود . وقد بدت عليه حالة غير عادية أغاظت تلك الفتاة الرزينة وأهاجتها ، ولما طلب اليها راجياً أن تعود لتصبح « لادي كرولي » بلغ منها التأثر مبلغه . وتوكيداً لقوله جثا هذا العجوز الخبيث المتصابي على قدميها .

ولشد ما دهش عندما رأى الدموع في عينيها . وكان حقاً عليها أن تبكي . ذلك لأنه أصبح لزاماً عليها أن تعترف . وقد فعلت . فقالت : انني يا سير « بت » متزوجة من قبل .

وجاءت على الأثر الآنسة « كرولي » . وهي جدّ غضبى . ولكن الرجل العجوز قد عاد سيرته الأولى في سرعة تدعو الى الاعجاب . وطفق يضحك ضحكاً خافتاً ويقول لـ « بكى » يمكنك على أية حال أن تتخذيني صديقاً . وانه ليسرّه أن تعود الى قصره .

وإنه لمغنم كبير ذلك الذي فاتها . ولكن « بكى » هي واحدة من أولئك اللائي يتقبلنّ الحياة دائماً كما تجيء . ولقد اعترفت الآنسة « كرولي » التي أدهشها هذا الرفض فقالت : إنّه وإن يكن قد بلغ من التأثر مبلغه لهذا الشرف فان صلة من الصلات تربطني بمكان آخر . ولم تقل هي من صاحب هذه الصلة . ذلك لأنها أيقنت أنه على الرغم من عدم رضا السيدة العجوز عن آرائها الحرّة غير المقيدة فإنها إذا علمت بزواج هذه الوصيفة الفقيرة التي لا تملك درهماً بابن أخيها الحبيب الى قلبها . وهو « رودن كرولي » فإنها لا بدّ سوف تسخط وتغضب .

وذلك الضابط المحدود الذكاء قد سحر كله بذكاء الفتاة . وكان إعجابه بظرفها وذكائها يعقد لسانه .

ولقد جاء الأوان أن لا يظل أمر زواجهما سرّاً مكتوماً . وفي ذات صباح دخلت الخادمة إحدى الغرف في « بارك لين » فألفتها خالية . وألفت ورقة مكتوبة الى الآنسة « بريجز » — وهي يومئذٍ واقعة تحت سلطان « بكى » — كُتب فيها تفصيل ما حدث . ووُجه فيها الرجاء الى الآنسة « بريجز » أن تكون لهما عوناً عند الآنسة « كرولي » .

وزاد من غضب السيدة العجوز شدّة سخط سير « بت » عندما جاء ليعود بالفتاة الى « هامشير » .

وفي عاصفة من الغيظ والحنق بات يصبّ عليها وعلى « رودن » وابلاً من الشتائم .

وبينما كانت « بكى » تسعى الى زيادة دخلها كان آل « سدلي » يتلقون ضربة قاصمة . فقد تأثرت أعمالهم بحوادث القارة الأوربية ثم أفلسوا إفلاساً تاماً . وآية هذا أن قد عرض للبيع بيتهم الواقع في ميدان « رسل » .

وقد زارت « بكى » وزوجها مكان بيع المعروضات . ودار عراك بين المزايدين على « بيانو » صغير كانت « أميليا » معجبة به . ثم رسا المزاد أخيراً على شخص يدعى كابتن « دوبن » .

ولقد أصبح السيد العجوز وزوجه و « إمي » يعيشون على ما يبعث به إليهم « جوزيف » من مال . ولكن ضياع الثروة لم يكن ضربة قاصمة كتلك الضربة التي تلقتها « إمي » في هدوء الموتى وصمتهم يوم جاءها النذير بأن « جورج » لم يصبح ذلك الرجل الذي كان مشتهى نفسها ومراد أحلامها .

وأن مسألة زواجه بها أصبحت موضوعاً غير قابل للبحث .

ثم إنَّ نفس الأسباب التي أدَّت الى إفلاس أبيها قد تدخلت اليوم مرة أخرى في حياتها تدخلاً أبعد مدى . ذلك أن نابليون قد عاد من منفاه . وأن أوربا كلها قد اجتمعت لتحاربه ولذلك فقد أصبح من المحتمل أن يدعى « جورج » و « وليم » ليسافرا مع فرقتهما الى خارج البلاد .

وقد لقي « دوبن » يوماً ذلك الشاب ولقي معه ورقة من « أميليا » تحله من قيود خطبتهما . فتأثر لحلاوة كلماتها وعذوبتها قلب ذلك الفتى الأناني المستهتر .

وأمَّا « دوبن » فما كان ليستطيع إخفاء شعوره الإخفاء كله . ذلك بأن « أميليا » كانت عنده المثل الأعلى للمرأة الكاملة . وذلك بأن سعادتها كانت تعني عنده الدنيا وكل ما فيها . ولو لم تكن به القدرة على مشاركتها تلك السعادة .

وتذكر الفتيان سحرها ، وفتنتها ، وسلامة طويتها . وطاف بخاطر « جورج » طائف من الأحساس بقلة التقدير لذلك الحب الذي ما قدره حق قدره ، فكان سبباً في قلة العناية بتلك الفتاة .

لذلك ولما أبداه « دوبن » من حجج لاقناعه . ذهب « جورج » لتوه وساعته الى البيت الريفي الصغير ليُدخل السرور على ذلك القلب المحب الساذج . الذي لم يذق في الشهور الأخيرة غير مرارة اليأس . فلم تلبث الفتاة إلاَّ قليلاً حتى عادت الى وجنتيها حمرة الورد . وحتى برقت عيناها الجميلتان .

وفي الوقت نفسه لم تكن الحياة عند « بكي » كما رسمتها في مخيلتها عسلاً وشهداً . ذلك لأن عمة « رودن » لم تصفح عنه أبداً.

وإن كان هو وزوجته يعيشان حتى ذلك الحين على الإستدانة فإنه سيجيء يوم تبطل فيه هذه الإستدانة .

وقد كانت السيدة « بيوت كرولي » يومئذٍ صاحبة الأمر والنهي في « بارك لين » وهي لم تترك فرصة للإشارة الى خبث « رودن » وخبث زوجته الصغيرة الماكرة إلاَّ انتهزتها .

وكانت تلك السيدة ترى أنَّ خير حلٍّ لهذه المشكلة هو أن يؤمر « رودن » باللحاق بفرقته في خارج البلاد .

وكذلك لمَّا سمع والد « جورج » . ذلك التاجر العجوز القاسي القلب بأن ابنه قد جدَّد عهد صلته بأميليا توعَّده بقطع صلاته به . وكذلك بحرمانه من كل عون . وبعد جدال عنيف ترك « جورج » البيت الذي قدر عليه أن لا يعود إليه أبداً .

ثم أُعدَّت العدَّة لزواج لا تحيط به الضجة . وذلك بفضل مساعدة « دوبن » وذهب العروسان لتمضية بضعة أيام في « بريتون » على أن يلحق بهما « جوزيف » بعد قليل .

وجاء « دوبن » يوماً مسرعاً يحمل « لجورج » نبأً هامًّا . وهو أنه قد أفشى سرَّ زواجه لأبيه . وكذلك فإن أمراً قد صدر بسفر الجيش الى بلجيكا لملاقاة « بونابرت » .

ورأت « بكي » بعينيها اللمَّاحتين ما خفي على فطنة « أميليا » . وهو أن « دوبن » صديق « جورج » كان بها مولعاً مفتوناً .

وسافرت « أميليا » و « جورج » الى لندن ليدبرا أمورهما . ذلك لأنه تقرر أن تصحب السيدات أزواجهنَّ الى « بروكسل » وفي صحبتهنَّ « جوزيف » . ولم تحزن الزوجة الصغيرة لفراق « بكي » الفاتنة الساحرة .

وكل ما وصلهما من والد « جورج » كان مبلغاً من المال مقداره ألفان من الجنيهات . على أن لا يدفع للزوجين بعد ذلك أي مبلغ آخر مهما يكن قليلاً . ذلك لأن « جورج » لم يبقَ له مكان بين أفراد عائلة « سبورن » .

وكذلك شدّوا الرحال الى «بروكسل» حيث كانت تسود الجرأة والشفقة . وحيث كان معروفاً أنه عما قليل سوف تسوي الجيوش التي لا تقهر مسألة « نابليون » . وفي الوقت نفسه فان الجوّ السائد كان جوّ البهجة والمرح . فكان الزوّار يفدون الى « بروكسل » زرافات ووحداناً . وكأنهم جاؤوا ليشهدوا رواية في ملعب .

ولا حاجة الى القول ان « لقاء » آل «كرولي» كان أمراً لا بد منه . وكانت « إمي » ترقب نجاح صديقها السابق في دنيا الحياة العامة التي خاضت هي غمارها الآن . أما «جورج» فقد كان مستعبداً غير حر .

وفي الخامس عشر من «يونيو» أقامت «دوقة ريتشموند» حفلة راقصة . وكانت ليلة مشهودة . وفي هذا المجتمع اللامع كانت زوجة « رودن كرولي » محط الأنظار من كل جانب . فقد كانت في أبهى زينتها . وكان سلوكها كأنما هي عاشت طوال حياتها في مثل هذه الأوساط .

أما « اميليا » فقد جلست منطوية على نفسها . بينما كان «جورج» يجري وراء «بكي» التي كانت ملتقى إعجاب الجماعة . وبعد أن عانت « اميليا » ما عانت من تجرع غصص الذلة . ومن معاناة مضض الإهمال والترك . تقدمت الفتاة المسكينة بالرجاء الى الصديق الوفي « دوبن » في أن يسير بها الى بيتها .

وما إن جاء الفجر حتى شاعت أخبار مشئومة . وذهب «وليم» لملاقاة صديقه . وكان هذا على مائدة الميسر . ولكن الأنباء التي جاء بها «دوبن» قد أرجعته الى صوابه . وبينما كان هذا عائداً أدراجه أيقن أنه في طريقه لملاقاة الصدام . وهو صدام قد لا يرجع منه أبداً . وطاف بخاطره بغتة خاطر يشوبه الحزن الممض ، والأسف البالغ على زواجه الذي كان رائده فيه الطيش والنزق .

وكذلك طاف بخاطره خاطر قسوته على زوجته . تلك المخلوقة الظريفة اللطيفة . ولكن لات ساعة مندم .

أما قصة « واترلو » وحديث مجدها فقصة معروفة لا تحتاج الى إعادة . ولكن ليس هذا بمانع أن نقول إن آلافاً قد فقدوا حياتهم ليصلوا « نابليون » نار الهزيمة الساحقة .

وكان من بين هؤلاء الرجال « جورج اوسبرن » .

أما « اميليا » فقد ظلت تنتظر وقلبها مفعم بالحب . ونذر الشؤم ترفرف حولها بجناحيها . وكان « دوبن » يعني بأمرها في إبان محنتها . وهو الذي أنبأ والد « جورج » بقصتها . وكانت هي يومئذٍ على وشك أن تضع طفلاً .

وجاء الوالد ليزور قبر ولده في « بروكسل » . ولكنه رفض أن يمد الى « اميليا » يد المعونة . ذلك لأنه كان يكرهها .

وقد نفد المال الذي كان في يد « جورج » منذ زمن بعيد . ذلك لأنه وزوجه كانا يعيشان عيشة البذخ والترف . وكان «جورج» لا يضن بالمال على ما تشتهيه نفسه أبداً . ولم تعلم «أميليا» أبداً علم اليقين قلة ما كان في يدها . وكذلك لم تعلم علم اليقين مدى المعونة التي هي مدينة بها «لدوبن» . وقد فعل « دوبن » ما فعل لأنه كان المنفذ لوصية صديقه . وكانت — وقد أذهلها الحزن — لا ترى للمال قيمة .

ولما وضعت حملها . جاءها مولودها بأمل جديد . وأنشأ لها هدفاً تعيش من أجله بعد أن ذهب فارسها البطل الى غير رجعة .

وأنعشت الأمومة آمالها مرة أخرى . ولم يكن يعنيها شيء في هذه الدنيا سوى طفلها . ولما أعادها الصديق الوفي « وليم » الى انجلترا استقر المقام بها في البيت الريفي الصغير في «فلهام» حيث عاشت عيشة هادئة . ونذرت نفسها لحب طفلها .

وإذا كان قومها قد راقبوا عن كثب تفاني « الكبتن دوبن » في تودده اليها . وفي اغداقه الهدايا عليها . وفي زياراته المتتابعة فان « اميليا » كانت في شغل عن هذا كله .

فلما جاءها يوماً ينبئها بأن أمراً قد صدر اليه ليسافر الى الهند حزنت على فراق صديق كريم . لا أكثر ولا أقل .

وهناك في باريس كانت « بكى » أمّاً لولد . وكانت تحيا حياة الناعمين . وتعيش عيشهم . وذلك على حساب الاستدانة التي كان « رودن » لا يزال قادراً عليها . وكذلك على حساب مهارته في لعب الميسر التي كانت تزيد في دخله .

ولكنها لم تر في ذلك ما يأخذ بيده الى الأمام . ثم أجمعا أمرهما على العودة الى لندن .

فهناك قد يستطيع أن يحصل على وظيفة تليق بضابط . وبواحد من آل « كرولي » .

وكانت عمته لا تزال قاسية ، متحجرة القلب . ولكن « بكى » كانت على ثقة من أنها بذكائها سوف تضمن لزوجها الإسعاد .

من أجل ذلك انتقلت هي وزوجها الى بيت أنيق صغير في شارع كرزون . ولما جاءت الأنباء تنمي الآنسة « كرولي » لم تأخذهما الدهشة عند ما سمعا أن نصيب زوجها من الميراث قد انتقل إلى أخيه « بت » الذي كان يومئذ متزوجاً . والذي عرف كيف يتسلل الى فيوض فضل تلك العمة .

ولم تعرف الحيرة السبيل الى قلب « بكى » بل كتبت خطاباً مهذباً الى « بت » تهنئه فيه بما ناله من ميراث كبير . وتتمنى له السعادة كلها . وتحيي « لادي جين » ، وترجو وتأمل أن يسعد « رودن الصغير » يوماً بلقاء أهله الأعزاء

وهكذا مهدت « بكى » الطريق لعلاقات طيبة مع عائلة أخي زوجها .

وفي « هامشير » أصبح البارون الشيخ أكثر غرابة في أطواره كلما تقدمت به السن . وأصبح ميله الى صحبة الأوشاب أكثر وضوحاً . كما أصبح ولعه بالخمر أكثر شدة وعراماً .

وقال المرجفون إن الحسناء الرائعة . إبنة الساقي « هوروكس » تطمح أن تكون « اللادي كرولي » . وقد كان حقاً أن لها في البيت منزلة تتطاول لها الأعناق .

ولكن حدث ذات ليلة أن مقداراً من الخمر قد زاد عن حده . قد سبب موت الشيخ التعس . فلما مات لم يحزن عليه أحد إلا — وهذا استثناء محتمل — الآنسة « هوروكس » التي فقدت بفقده مكانتها .

وتنفس « بت » الصعداء . ذلك لأنه أصبح الآن قادراً على أن ينظم بيت أجداده .

وجاء آل « رودن كرولي » يحضرون الجنازة . وكانت « بكى » مثال اللباقة والكياسة فكسبت رضا أخي زوجها — وهو ذلك المختال الفخور — بالثناء على براعته وقدرته . وكذلك أسرت « لادي جين » بما أبدته من اهتمام بأطفالها . ولو أنه لا يمكن القول إن « رودن » الصغير قد لقي يوماً عندهم شيئاً من هذه الرعاية .

وعند ما عادت « بكى » وزوجها الى المدينة إنغمسا في حياة البهجة . تلك الحياة التي

كانت « بكي » حليـة من حلاها . وقد عرف كل الناس — وبخاصة الرجال — أنَّ من دخل بيت السيدة « كرولي » فانه لا يعدم البهجة والمرح .

وكان من المكثرين الإكثار كله من زيارتها « لورد ستين » الكبير . وهو رجل واسع الثراء وهو من تستطيع — اذا استعانت بجاهه وسطوته — أن تفتح كل باب مغلق .

وكان أصحابه الذين يجيء بهم يلعبون الميسر مع « رودن » الذي كان ينكمش شيئاً فشيئاً .

وقد بدت المسكنة على وجه زوج السيدة « كرولي » . وكان أكبر سرور له في الحياة أن يصعد الى غرفة طفله ليلاعبه .

وكانت أم الطفل تذهب الى تلك الغرفة بين حين وحين . ولكنَّ الطفل لم يكن يظفر منها بغير كلمات فاترة قبل أن تغادره لتذهب الى الأوبرا . أو الى المسرح أو الى واحد من مجالي اللهو التي كانت تضيع فيها أوقاتها كلها .

أمَّا « أميليا » فقد كانت تحيا حيـاة هادئة مستقرَّة . وهي راضية كل الرضا بتلك العيشة البسيطة . وكانت تناجي نفسها فتقول : ماذا يغنيني المال قلَّ أو كثر . أليس عندي أكبر كنز في الدنيا أسهر على رعايته والعناية به ؟

وكانت الخطابات تصل الى « دوبن » في الهند . وفيها وصف لتقدّم الولد تقدّماً عجيباً . و « دوبن » يطرب لسماع هذا النبأ . كما يطرب لكل شيء يذكره بالمرأة التي أحبَّ

ووصلت أنباء الحفيد الصغير الجميل الى سمع جده الشيخ « اسبورن » . وذلك عن طريق بنته التي لقيت الطفل في بيت آل « دوبن » حيث كان يلذ لفتيات البيت أن يروه.

وكان الشيخ القاسي القلب يصغى — في لذة — إلى أنباء حفيده في شوق بالغ يحدوه الحنان . وقد حانت يوماً الفرصة المنتظرة فدفعت به الجرأة إلى أن يعرض على الأم المسكينة مالاً إذا قبلت التخلي عن « جورج الصغير » وسمحت بأن يربيه جدّه التربيـة اللائقة بسليل بيت من بيوت المجد .

فأثار هذا العرض ثائرة « أميليا » على الرغم من طبعها الهادىء . إذ كيف تقبل أن تضحي بأعز عزيز لديها . وبالمصدر الوحيد لسرورها في هذه الدنيا التي تزداد وطأة الفقر فيها شدّة . ذلك لأن أباها قد بدد ما يملك من مال قليل .

ولكن جاء يوم أيقنت فيه أنها بعملها هذا قد تكون سبباً في حرمان ولدها من فرص لحياة رضيّة هو أهل لها . فرأت أن تتخلى عن ولدها . وبها من الحزن ما بها .

ثم وُضع في الاتفاق شرط يسمح للأرملة الظريفة أن ترى ولدها كلما أرادت . وأقرّ هذا الشرط جدّ الولد .

[لها بقية]

مبارك ابراهيم

قصة

ابنة القاتل

للكاتب الفرنسي « م. جيرارديه »

ترجمة الآنسة نعمت حسني

البحر ثائر ، يدفع الى الصخور بجيش من الأمواج ، رهيب لا يترامى اليه الخيال . ووقفت هي في مكانها لا تتحرك ، قلقة تتوقع قيام العاصفة . وفتحت المنارة عينها ، يومض نورها وسط الظلام .

إن التي وقفت في مكانها لا تتحرك .. تلك هي امرأة أتت لاشعال المنارة . وقفت هناك في أعلى ، وقد عصبت شعرها بمنديل ثبتته حول رأسها . وضمت الحرملة على صدرها وكان الهواء شديداً يحاول انتزاعها . ثم انعطفت تأخذ مصباحاً ، كان على الأرض بالقرب منها .. وبينما هي تتأهب للنزول ، سمعت وقع خطوات .

وخرج من الظلام ، رجل بدت على مظهره المتوحش ، علامات السكر الشديد ، وكان يتمتم بكلمات مبهمة — ثم قال وعلى فمه ابتسامة بلهاء حائرة :

— هل أتممت العمل ؟ ... هذا حسن ...

ثم انفجر يضحك ضحكات جنونية ، دوت في ذلك المبنى الضيق ، وطغى صوتها على صوت الأمواج فقالت المرأة في حزن .

لو أني لا ألاحظ المنارة بنفسي ، لهلك الكثيرون من الملاحين .. بينما أنت في الحانة ، تحتسي الخمر . فقال الرجل متلعثماً .

— أتؤنبينني ؟ لو كان هذا ما تقصدين ، فاني أنهاك عن ملاحظة المنارة ... بل أمنعك ! فهزت كتفيها قائلة :

أتريد أن أصارحك القول ؟ ... أنت إنسان عديم النفع .. ولولا قيامي بعملك ، لكان ما تصيبه من النقود ، في حكم المسروق ... فنظر إليها الرجل بغضب .. وعادت هي تقول :

— أجل ، أنت انسان عديم النفع .. سكير ...

وما كادت تتم كلمتها ، حتى هجم عليها الرجل ، وقد اتخذ من قبقابه الغليظ سلاحاً ، وجعل يضربها ! كان يضربها دون تبصر .. على رأسها ، وعلى صدرها ، وعلى خاصرتيها ...

كان في استطاعتها ان تهرب من ذلك الرجل ، الذي أضاع صوابه الخمر . . ولكنه واقف أمام الباب المفتوح . . ولو دفعته تريد الافلات منه ، لتدهور في الفضاء ، ولقي حتفه على تلك الدرجات الحجرية . . لا ، إنها لن تفعل هذا ، فهو زوجها . . . وجعلت تدافع عن نفسها فقط . . فتحمي رأسها بذراعيها . وزاد به الغيظ والحنق . . فضربها على ذراعها ضربة جعلته يسقط هامداً . . ثم لطمها على رأسها لطمة قوية . . سقطت على أثرها لا تتحرك . . .

وبغتة ، ظهرت الابنة . . وهي فتاة في الثالثة عشرة من عمرها ! . . . اتسعت عينا الطفلة ، ووقفت في مكانها جامدة ، وقد استولى عليها الرعب . أما هو فقد تزايد غضبه . . ورفع جثة المرأة ، ورمى بها على السلم . . وإذا بها تتدهور على الدرج الحجري ، وتدهورت معها الطفلة ! وكيف ذلك ؟ . . . لقد رمت بنفسها فوق جثة أمها ! . . .

وردّد الرجل ، نفس الضحكة الجنونية . ثم أفاق من سكره . . وأخذ رأسه بين يديه ، وجعل ينظر في الفضاء برعب . . .

* * *

وانتشر الخبر ، ان زوجة « ليجوف » قد تدهورت من أعلى المنارة ، وماتت قضاء وقدراً . أما « آن — ماري » الطفلة ، وهي الشاهد الوحيد . . فإنها لم تفتح شفتيها بكلمة عن الحقيقة . وليس من أحد خطر بباله أن يسألها . . أو يتطرّق الشك الى ذهنه ، إن المأساة فيها جريمة .

وشيعت المرأة المسكينة ، الى مقرها الأخير . . وبعد قليل من الزمن ، لم يعد أحد يتكلم عنها ، فقد طغى على ذكرها النسيان . ولكن هناك من كان يذكرها : آن — ماري ، التي أشجى فؤداها الحزن ، وأصبحت شاحبة الوجه ، هادئة رزينة ، لا تفارقها ذكرى أمها — الشهيدة — والتي كانت تنظر الى أبيها — القاتل — بعينين تشتعلان غضباً وتهديداً .

لم تخُن الفتاة أباها . . ولكنها أقسمت أن تعاقبه حسبما يتراءى لها . . . وفكرت : سوف لا توجه إليه خطاباً . . لا . . سوف لا تكلمه البتة . . وكان فيها عناد الأصل البريتوني . . فلم تحنث في قسمها .

كان الرجل يشتدّ به الغضب ، كلما وجد كلامه لا يلقى جواباً . . ولكن نظرة من الفتاة ، كان فيها من القوة ما يغني كلاماً يريد أن يفوه به ، ويجعله يتلاشى قبل أن يتحرك به لسانه . . تلك هي نظرة تعيد الى الذاكرة مشهداً مروعاً !

وسط هذا العالم الخضم ، بدأ هذان المخلوقان حياة حزينة . حيث لا يتبادلان حديثاً . وحيث لا تنظر الفتاة الى أبيها . حقاً إنها لحياة كئيبة ، حتى ليخشى منها على الصواب ! وكثيراً ماكان الرجل يخرج الى الطريق ، ويقف بالقرب من الأكواخ ، ليتسمع الى الأصوات الآدمية ! فإذا أقبل المساء ، توجه الى الحانة ، ليحتسي الخمر مع رفاقه . ويفكر فجأة في المنارة . فيسير متعجلاً نحو الصخور بخطى متعثرة . ولكن آن — ماري ، تكون قد أشعلت المصباح . فيشكرها الأب . ولكنها تقابل شكره دواماً بالصمت . ذلك الصمت الذي فيه ما فيه من البغضاء والنفور .

***

ودخلت الفتاة في الثامنة عشرة من سني حياتها . وازدهر جمالها ، والتمع حسنها ، وتحدث الجميع عن أدبها وكمالها . فتقدم إليها الكثيرون من شبان الحي . كل يقدم لها حياة أقل عبوساً من تلك التي تحياها ، ولكنها رفضت الزواج : فالمنارة تضطرها أن تلزم دار أبيها . المنارة التي تقوم بدور الحارس ، على حياة الكثيرين في الظلام ، فقد كانت تعلم أنها لو تركت امر المنارة لأبيها ، فسوف يبحث الملاحون عبثاً ، عن نجمهم الهادي . وسوف يحدث ما لا تحمد عقباه . وتعلم أيضاً ، أن أباها سوف يطرد ، ويحرم من مرتبه المتواضع . ولا يكون أمامه إلاّ الموت بائساً وحيداً ! إنها لا تشعر حياله إلاّ بالغضب والتحقير ، ولكنها لا ترضى له ذلك المصير .

وذات مساء ، وكانت الفتاة في أعلى ، حيث المنارة . وكانت العاصفة على أشدها . فأصابتها لفحة هواء . وهبطت الدرجات الحجرية ، وقد سرت القشعريرة في بدنها . ولازمها السعال طول ليلتها .

ومرت الأسابيع ، والمرض عندها لا يتلطف . بل يزداد حدة ! ومر على خاطرها أنها قد تموت . فثارت ثائرة نفسها : إنها إذن ، سوف لا تتذوق أي فرح من أفراح الحياة ؟ . . وتبين لها فجأة ، أن تضحيتها ، إنما هي بعيدة عن الصواب . وتمنت لو أنها تشفى . وباتت تنتظر الشفاء في شغف وشوق . إنها تريد نصيبها في الفرح . . في الحب . . في المستقبل .

واشتدت بها وطأة المرض . وأصبحت الفتاة لا تمشي إلاّ بصعوبة . ولكن ، عندما كان يقبل المساء ، قبل أن يعود الأب . كانت تجر نفسها جراً ، الى أعلى الفنار . ثم تهبط وقد وهنت قواها واضمحلت . . كانت الفتاة تنظر في الفضاء اللانهائي ، وقد

لمعت عيناها في محياها الباهت . وأصبح الأب قلقاً ينظر طويلاً الى ذلك الفم المغلق ، الذي أصرَّ على الصمت في عناد .

* * *

كان يتردد على الفتاة بالزيارة ، بعض الجيران ، ممن عرفوا أمها فيما مضى . فكانت ترحب بهم .. وتكثر من سؤالهم عن كل ما يذكرون عن أمها . وعندها ، يتسمع القاتل الى صوت ابنته ، كما لو كان يتسمع الى موسيقى الشهية .. كان يود لو أنها تنسى يوماً ، وتبادله الكلام ! كان معذباً تعذيباً قاسياً . فقد كانت زوجته تتراءى له في كل ليلة .. تلومه وتعنفه على جريمته ، بصوت أعلى وأقوى من صوت الرياح والأمواج مهما اشتدت وعظمت . وانقلبت سريرة الرجل . شيئاً آخر .. وقد أخذ الرشاد ينبثق فيها انبثاق النور في الظلام . ورسخ في ذهنه أن القتيلة ، قد تكفُّ عن تعذيبها لو أن الإبنة تعفو عنه . ألا ليته يستطيع أن يظفر من ابنته بكلمة يطيب بها قلبه البائس ... كان يتوقع حلول المصاب ! ويتخيَّل الدار وقد أصبحت قفراء حزينة ! يا لله ! أتموت آن — ماري ! ولكن يجب أن تتكلم .. يجب أن تقول له كلمة تنجو بها روحه من العذاب ...

غير أن الفتاة ما زالت على اصرارها .. لا يثنيها عنه مر الأيام . وتوغَّل الداء في صدرها .. وظهر عليها الهزال ... وكانت تسهر عليها صديقة لها . ولشدَّ ما كان الرعب يتملك آن — ماري ، عندما كانت تتخيَّل ، أنها قد تضطر الى مكالمة أبيها . لا .. إنها لا ترغب في نزع السلاح . كانت إذا تلاقت عيناها مرة بنظرات أبيها الحزينة ، التي تلازمها دواماً ، فما أسرع أن تغضَّ عنه عينها .

* * *

وأخيراً ، وقد أحست آن — ماري ، أن العمر يذوب قطرة إثر قطرة . . فإنها طلبت أن يؤتى لها بقسيس .. وأتى يصحبه طفل ... ودخلا بخطوات لها صوت وقعه رهيب . وازداد شحوب الفتاة عندما سمعت طنيناً ضعيفاً ، عرفت فيه صوت الزيوت المقدسة !

واعترفت الفتاة ! ... ولكنها احتفظت بكذبتها الكبرى . حيث لم تبح بالحقيقة ، ولم تتهم قاتل أمها . ولكنها إبنة القاتل ! وكيف تبوح بسرِّ أبيها ! إنه سرٌّ سوف تحتفظ به كوديعة مقدسة ، لا تسلمها لغير ربها . إنه سرٌّ لا سلطان لها عليه البتة . ولما دخل الأب بعد ذلك الى حجرة ابنته ، فانها ارسلت اليه نظرة قرأ فيها بوضوح : « اني لم أقل شيئاً عن سرك » .

وظنّ الرجل ان ابنته ، قد هدأ في قلبها الحقد والكراهية . ظنّ أن هذه المائتة ، سوف تفتح له ذراعيها النحيلتين ، وتقطع الصمت . فركع بالقرب من سريرها .

كانت آن — ماري ، قد أنهكها الجهد الذي انفقته في الاعتراف ، فأقفلت أجفانها وضمت ذراعيها . فبدت وكأنها دخلت في راحتها الأبدية . فأصابت الرجل قشعريرة سرت

ولكن الفتاة ما زالت تتنسم نسيم الحياة . وكان أبوها يرقب وجهها الناصع البياض، وفمها الذي يلفظ انفاساً ضعيفة قصيرة . وتمتم الأب قائلاً :

— آن — ماري ! اغفري لأبيك . كلّميه . أرجوكِ . أتوسل اليكِ . قولي انك عفوت عني . ولما كانت تلزم الصمت ، فقد الحّ الرجل قائلاً :

— لِمَ لا تقولين شيئاً ؟ قولي كلمة . كلمة واحدة . ليس هذا بالشيء الكثير . كلمة تؤكد أن . . . انكِ قد نسيتِ جريمتي . انكِ هناك في أعلى ستضرعين من أجلي . آن — ماري ، أجيبي ! ...

وانتظر لحظة . ولكن الفتاة لا تجيب ، وكأنما تهيم في عالم بعيد . فصاح الأب في جزع متوسلاً :

— آن — ماري ! ردّي على أبيك يا بنيتي ... اني على كل حال ، لم أسيء اليك !

ونهضت آن — ماري ، على ذراعيها . وقد تبعثر شعرها . وحوّلت نحوه عينين ملؤهما الاشباح . فقد ارتفع الماضي بين ذلك الرجل الحائر الولهان ، وبين تلك الفتاة التي يقتنصها الموت . ذلك الماضي الذي لا يمكن لها أن تنساه . وفهم الرجل ان ابنته قد أجرت العدل في عقابه . وانه صريع انتقامها !

وبينما كان ينظر الى آن — ماري ، رأى نوراً عظيماً ، قد أضاء على وجهها . ثم وثبت الفتاة بقواها الأخيرة، وقد افترّ ثغرها عن ابتسامة حزينة ، واغرورقت عيناها بالدموع . ومدّت ذراعيها نحو شبح غير منظور . ونطقت بتلك الكلمة القريرة . أول كلمة تلعثم بها لسانها الصغير فيما مضى :

— أماه !

ثم هوت على فراشها ، وقد فارقت الحياة .

نعمت حمدي

باب المراسلة والمناظرة

في قصيدة « رهين » المحبسين

قرأت في مقتطف دسمبر سنة ١٩٤٨ قصيدة مهداة الى روح أبي العلاء المعري (رهين المحبسين) لناظمها (كاظم مكي حسن) والقصيدة كانت منصبة على مدح أبي العلاء ولم يبد فيها ناظمها رأيه في الشاعر بل ظهر بمظهر المؤيد الى أبي العلاء في جميع ما قاله أو ما تفلسف فيه. وكما يبدو من قصيدته أنه وقع في خاطىء الرأي من جهة نظرته التأييدية المطلقة الى أبي العلاء. ولذا فيحق لي أن أنبه الناظم الى بعض هنات الرأي في قصيدته. وأولها: أن الشاعر يحسن به أن يبين مناقب ومثالب ممدوحه ويبدي رأيه الشعري في ممدوحه أو أن يبين تعليلاً يغطي به بعض مثالبه حتى لكأنه يظهرها وكأنها من قبيل المناقب. وهذا لم نجده في القصيدة بل وجدنا الناظم قد استرسل في المدح وأغضى عن تبيان رأيه في متناقضات أبي العلاء المعري المعروفة وهل أدل هذا من قوله.

خلق الناس للبقاء فضلت   أمة يحسبونهم للنفاد

وقوله:

تحطمنا الأيام حتى كأننا   زجاج ولكن لا يعاد له سبك

فما أوسع وأكبر التناقض بين الرأيين. إذ أن أحدهما ديني إرشادي والآخر كفري إلحادي غير مؤمن بالمعاد. ولذا يحق للبعض أن يرميه بالالحاد.

وثانيها: لقد استرسل الناظم في تأييد أبي العلاء حتى لقد تحامل على ناقديه مع أنهم على حق في ذلك الأمر الذي يدل على عدم انتباهه الى مواطن الضعف الظاهرة التي هوجم منها ممدوحه وأنه مهتم فقط في سوق العقيدة في قالبها المقفى.

وثالثها: إن الناظم ينفي الجحود نفياً قاطعاً عن ممدوحه وذلك في قوله « دعوت إلى نبذ الجحود ... » ويعتقد في أنه ما سعى في حياته إلاّ الى حرية الرأي وحقيقة فلسفة أبي العلاء

وخواطره الشعرية تثبت عكس ما ذهب إليه ، إذ أن أبا العلاء في حياته أقرب الى الجمود منه الى الانعتاق في عالم الحرية .

وهل أدل على هذا من قوله .

« تعب كلها الحياة فما أعجـب إلاّ من راغب في ازدياد »

وما الحياة لو دققت . إلاّ نتيجة لتفاعل الفكر مع الطبيعة وموجوداتها .

وهل يوجد أكثر من قوله هذا تثبيطاً للهمم البدنية والفكرية . إنه الدعوة الى الجمود بأجلى مظاهرها . فكيف يؤكد ناظمنا تأكيداً قاطعاً بدعوته الى نبـذ الجمود . وبأي دليل قطعي ؟ .

ورابعها : لقد استرسل صاحبنا في الأغضاء عن هنات أبي العلاء لتمسكه في جانب واحد منها حتى أنه لم ينتبه الى جانب الجمود في رأي أبي العلاء الذي نظمه بقوله :

وقلت تساق الضأن للذبح عنوةً وقسراً وتخشى في مرابطها الأسد
بقيت حصوراً لست ترضاك والداً تذل وتشقى في جنايتـه الولد

إن هذين البيتين — ولو يظهر في أحدهما جانب العدل — ليدلان دلالة قاطعة على أن أبا العلاء جامد يائس يدعو الى الجمود إذ أن رقته بالحيوان تدعوه الى عدم اجراء التجارب الطبية عليه واستخراج الأمصال ، لو عرف هذا من قبل . وإذن فلا يسمى لترفيه البشرية بموت حيوان مؤذٍ ضار . وفي هذا ما فيـه من خنق الأفكار والمفكرين وهم في المهود . وأما دعوته لقطع دابر النسل خوف سوء التربية فهي أبلغ دليل على جمود الفكر ولو سلكتها الناس لما وجدت هذه الحضارة واختراعاتها ، ولا نعمنا بآراء مفكري البشرية ، بل لقد تحوّلت الأرض الى بلاقيع ليس فيها إلاّ اليعافير وإلاّ العيس . ولو أنه كان بعيد التفكير لطرأ له أنه قد يحصل في نسل المستقبل أناس مفكرون يركّبون جميع الأغذية من النبات والمواد الكيمياوية فيستغنون عن ذبح الحيوان هذا الذي يرأف به عبر حدود المعقول . سقت هذه الكلمة لا لأقلل من قيمة أبي العلاء كشاعر وفيلسوف ولكني لأؤكد بأنه ليس متفرداً بالكمال وأن ناظم القصيدة مدح أبا العلاء وآراءه دونما تعمق في النظر فيها . وأملي أن يتنبه الى هذا والسلام .

القورنة — البصرة رشيد السعد

باب الأخبار العلمية

عداد جيجر أو صمامه

(١) كيف يرشد الى مواضع الثقوب ومكامن الخلل التي تطرأ على الآلات (٢) ثمن هذا الجهاز حالياً (٣) كيف انتفع به الذين شهدوا تجارب اطلاق القنابل الذرية في بكيني . (٤) متى اخترع هذا العداد (٥) معارضة روسيا في اعلان ما تملك من الاجهزة الذرية . (٦) ارشاده الى مناجم تبر المعادن ذات الطاقة الاشعاعية (٧) استعماله لحراسة المباني الحربية (٨) كيف تعالج الاشياء المراد كشف غوامضها بوساطته (٩) التوسل به الى صون آبار الزيت المعدنية . (١٠) وصف تركيبه .

جاء في البرقيات العامة(١) من شيكاغو في ٤٨/١٢/٢٩ . أصبح صنع السفن التي تسير بقوة الطاقة الذرية أمراً أقرب الى الحقيقة اذ أعلنت لجنة الطاقة الذرية اليوم مشروعاتها الخاصة بانشاء الأفران الاختبارية التي تلائم مواصفات الآلات التي تستخدم في تسيير السفن في المستقبل باليورانيوم بدل الفحم .

قلت في موضوع على (الذرات المشعة ومنافعها الحيوية) نشر في مقتطف ديسمبر سنة ١٩٤٣ .

« حينما يبتدىء هضم الغذاء وتمثيله ، يسجل العداد الكهربي المسمى عداد جيجر مسير الطعام في جسم الانسان ، الى مقره الأخير ، حيث يصير جزءاً من ذلك الجسم لأن خاصية الاشعاع الصناعي التي تكتسبها العناصر المشار اليها وقتية ، تزول في بضعة أيام ولا تترك أثراً سيئاً في الجسم البشري ، بل تنفعه في دراسة أمراض تضخم الغدة الدرقية ، وفي حالة اللوكيميا (وهذه تتميز بزيادة كبيرة ثابتة في عدد الكريات البيض) وفي أدواء تضخم الطحال والغدد الليمفوية والأورام وفقر الدم .

ثم ختمت ذلك البحث قائلاً « وقد حاول بعض أطباء كليفورنيا ، تقصي جراثيم التدرن الرئوي في الجسم البشري ، وذلك بتغذيتها أولاً بأملاح الفسفور المشعة . وفي سنة ١٩٣٩ منح الأستاذ ارنست لورنس ، جائزة نوبل لاختراعه جهاز تهشيم الذرة ، ولأجل مكتشفاته في الطبيعيات ، وهي التي

---

(١) وهذه البرقية تؤيد ما ذكرته في مقال نشر في مقتطف مايو سنة ١٩٤٦ حيث قلت : انه يمكن انشاء المصانع التي تولد البخار أو الكهرباء التي قوامها الحرارة الذرية لتسيير البواخر والقاطرات العصرية .

كانت نتيجة عبقريته ، إذ رأى بثاقب نظره ما يحتمل أن تؤديه المواد المشعة ، من الفوائد للعلوم الأخرى» . لذلك استصوبت وصف هذا العداد فيما يلي : —

قال كاتب أمريكي في وصف هذا الجهاز ما يأتي : —

من الميسور عامة في المستقبل القريب أن يصبح جهاز جَيْجَر العداد ، من الضروريات لدى كل أمريكي وأمريكية ، كالثياب الشخصية لكل منهما .

ولا غرو فقد ثبت أن ألوفاً من الأمريكيين الذين يمارسون أعمالهم في المواد ذات الطاقة الاشعاعية أو قريباً منها ، ونعني بها اليورانيوم والبلوتونيم والراديوم وأجهزة أشعة رنتجن وجهاز تهشيم الذرة ، غدوا لا يستغنون عن هذا العدّاد .

ولكن عند ما تستخدم الطاقة الذرية في مصانع المدن والأرياف ، وحينما تستعمل لتسيير البواخر والبوارج والسكك الحديدية والسيارات والطائرات العصرية ، سيربى عدد الناس الذين ، سيهتمون بالمواد ذات الطاقة الاشعاعية ، عليهم في الظروف الحالية حتى يعادل عدد سكان الولايات المتحدة حالياً .

ولا مندوحة حينئذٍ عن الانتفاع بهذا الجهاز ، في المساكن التي تدفأ بالطاقة الذرية وترطب وتضاء بها ، حيث يقوم بالحراسة الدائمة ، ضد الثقوب والاتلاف التي تطرأ على تلك الآلات . ذلك لأن أي تلف كان تستهدف له ، ينجم عنه انتشار أشعة غمّا وغيرها من الأشعة القتالة ، في المنطقة المناوحة لها .

وهي أشعة لا تمكن رؤيتها أو سماعها أو الشعور بها . بيد أن عداد جيجر يكتشفها توّاً فيحذر السكان من أضرارها قبل تعرضهم لها تعرضاً فتّاكاً (١) .

وهذا العدّاد يشبه من بعض الوجوه ، آلة مصورة من مصورات السينما ، ذات سماعتين توضعان على أذني مستعملة . وإذا صوّب هذا الجهاز الى جسم قاص من الأجسام ذات الطاقة الاشعاعية ، ولو كان ميناء ساعة مدهوناً بالراديوم ، شرع هذا الجهاز العداد في التحرك والطقطقة إذ تهيج إبرته المثبتة على مينائه . وتتوقف درجة تهيجه على مبلغ الخطر الذي يتبين وقتئذٍ لحامل الجهاز . ولولا عداد جيجر هذا لما تمكن العلماء من تقدير الأضرار التي نجمت عن تجارب اطلاق القنابل الذرية في بيكيني . تلك الخسائر الفادحة التي بلغت ملايين لا تحصى من الدولارات . على حين أصبحت نفقة صنع الجهاز الواحد من هذا النوع لا تعدو خمسة ريالات .

---

(١) جاء في الانباء البرقية من شيكاغو — في ١٨ ديسمبر سنة ١٩٤٨ أن المستر رودريجز المتخصص في البحوث الذرية توفي يوم ٤ ديسمبر سنة ١٩٤٨ وذلك في أحد المستشفيات هناك ، نتيجة لاصابته بالاشعاع الذري

ثم أضاف الكاتب الأمريكي ، قائلاً :

« ولم يكن أحدٌ منا نحن الذين ، شهدوا التجارب الغريبة المشار إليها ، يجرؤ على الدنو من أية منطقة كانت من أهداف التجارب الذرية، إلاَّ وهو موقن ، بوساطة عداد جيجر ، بخلوها من التلوث بالطاقة الاشعاعية » .

« وإن أنس فلن أنسى منظر طائفة العمال الذين عهد اليهم حينئذٍ في حمل عدادات جيجر ، وهم يسيرون الهوينا ، خطوة لخطوة ، وذلك على ظهور السفن الحربية التي استهدفت لتدفق أشعة القنابل الذرية ، حيث كانوا يسددون أجهزتهم المشار اليها ، شذر مذر ، منصتين لخطوات تكتكة العداد ، مراقبين إبرته . وحتى الماعز والخنازير التي كانت تدنو منهم ، كانوا يعرضونها لعيون عدادات جيجر الحساسة.

وكان أشد الأشياء تأثراً بالطاقة الاشعاعية ، خنزيراً ميتاً ، وُجد على ظهر الباخرة نيفادا (إحدى بواخر الولايات المتحدة الأمريكية) التي كانت مسلَّحة بمدفع من عيار ٤٠ مليمتر . وهي إحدى السفن التي جعلت أهدافاً للقنابل الذرية ، إذ تبين أن كرياته الدموية البيض ، كادت تفنى بأجمعها ، وذلك قبل صعود حملة عدادات جيجر الى ظهر ذلك المركب الصريع .

وقد تيسر في ذلك اليوم المشهود ، حصر المناطق الملوثة والانفجار الجوي ، حصراً نسبيًّا . فكان حملة عدادات جيجر يرسمون بالزيت دائرة حمراء حول كل منطقة لاتزيد مساحتها على بضع ياردات مربعة من ظهر السفينة أو آلاتها . ثم كانوا يحذروننا من ولوج تلك الدائرة الخطرة . وحدث في عصر اليوم الثالث لانفجار القنبلة الذرية أن سمح لنا حامل عداد جيجر ، بالسباحة على مدى شاطىء بيكيني . وبعد انقضاء أسبوع على ذلك الحادث، حالت التحذيرات التي تلقيناها ، عن طريق هاتيك العدادات، دون دخولنا في منطقة طيران طائرة من طائرات الاسطول الأمريكي ، من الطراز الذي تسيطر عليه الموجات اللاسلكية ، على بعد ٢٠٠ ياردة ، حيث أطلقت في مجال الغيمة الذرية (١) وتوقن لجنة الطاقة الذرية التابعة لهيئة الأمم المتحدة أن الطاقة الذرية لابدَّ من حلولها محل الفحم الحجري وزيت الوقود، في مشروعات دائمة ، ولذلك اقترحت على اللجان التي تفحص الأجهزة الذرية المركبة في العالم أجمع ، التذرع بهذه العدادات لتستطيع القيام بوظائفها على خير مايرام .

غير أن روسيا تعارض الآن ، في إباحة القيام بهذا البحث في بلاد السوفييت . وعداد جيجر ليس جديداً في ذاته ، بل قديماً إذ بدأ العمل في اختراعه في سنة

---

(١) أنظر البرقية التي أثبتناها في صدد هذا المقال

١٩٠٨ وذلك تحت إشراف هانز جيجر Hans Geiger العالم الألماني الطبيعي الذي ولد سنة ١٨٨٢ بيد أنه لم يتح له إبلاغ هذا الجهاز الحساسية الشديدة التي كان ينشدها له ، إلا في سنة ١٩٢٠ .

ويؤلف العداد الجيجري من قلب ، هو صمام يكاد يشبهه في الراديو ، إلا أنه مجرد من الاضاءة .

وفي باطن ذلك الصمام اسطوانة من الصلب (١) الذي لا يصدأ مملوءة بغازي الأرجون والكريبتون وغيرهما من الغازات الجوية النادرة .

وفي وسط الاسطوانة يمتد سلك من معدن الطنجستن ، لا يزيد قطره على $\frac{٣٠}{١٠٠٠}$ من عقدة الأصبع « البوصة » ويشحن هذا الجهاز ، ببطاريات عادية من الطراز الذي يحمل في الجيب . وبلغ من دقة إحساسه ، أنه يشعر بكل شعاعة مضرة فيتهيج تهيجاً ملحوظاً يلفت اليه مستعمله .

ويرى المطلعون على الحقائق ، أن مهارة هذه الآلة الحارسة ، التي لا حدّ لها ، سوف تجعلها من ضروريات البلاد الأمريكية .

ولا بدع ففي وسعها الارشاد الى تبر المعادن ، ذات الطاقة الاشعاعية . وهذا التبر نادر الوجود ، ويصعب الحصول عليه في أرجاء بلاد الولايات المتحدة الأمريكية بغير هذه الوسيلة . ثم إنها تكشف عن الثقوب التي تحدث في غلافات آبار الزيت المعدني ، كما تبين ثخانة الدهانات الزيتية التي تدهن بها السيارات والثلاجات الجديدة وتقيس ثخانة المراجل والأنابيب التي يخشى عليها من التآكل الداخلي . وتقيس سطوح السوائل المحفوظة في الصهاريج المختومة قياساً مضبوطاً .

وكل ما تحتاج اليه لاداء أعمالها ، مساعدة طفيفة هي دهن أو مزج الأشياء التي يراد كشف غوامضها أو الوقوف على خفاياها وأضرارها ، بمادة ذات طاقة اشعاعية متوسطة . ومن المرجح عامة ان عداد جيجر سيتولى الحراسة في كل مدخل من مداخل المباني الاستراتيجية ، وذلك عند ما تشتد الازمات العالمية ، لكي يفتش كل راغب في ولوجها . غير ان الشركات الست التي انشئت في بلاد الولايات المتحدة الامريكية ، ووسعت نطاق منتجاتها من هذه الأجهزة ، لا تفكر الآن الا في الانتاج اللازم للسلم ، في هذا العصر الذري » .

* * *

وبعد كتابة ما تقدم أتيح يوم ٤٩/٤/٢٨ لكاتب هذه السطور مشاهدة هذا العداد الرائع ، وذلك في معرض الذرة الذي أقيم في كلية العلوم بقصر الزعفران بالعباسية بالقاهرة فأعجب به كل الاعجاب .

عوض جندي

---

(١) راجع مقتطف ديسمبر سنة ١٩٤١ .

مكتبة المقتطف

كتاب في السياسة

تأليف الوزير الكامل أبي القاسم الحسين بن علي المغربي

أعني بنشره وتحقيقه وتعليق حواشيه سامي الدهان دكتور دولة في الآداب من باريس

أجدني حريصاً على أن أبدأ حديثي قائلاً عن ناشر الكتاب قبل أن أعرض لمؤلفه . وقد أتنكب في ذلك نهجاً عرفه المتحدثون عن الكتب ولكن مخالفة النهج الى اطراح ما أرضت هوى وأشبعت رغبة . وأنت الى المخالفة ألصق وبها ألزم حين تجدك مع هذا الهوى وتلك الرغبة تقول للحق وتحدث غير جائر سننه .

وما لنا يعنينا أن نسهب مرضيين في القول عمن سلفوا مؤلفين ، ونتحرج حين ننصرف الى القول فيمن تضمنا اليهم ضامة ونخشى أن نُظن مغلين أو أن نُزن مجانفين ، أو أن نحسب أصدقاء لا ناقدين .

ومن غير خالصتك يحسن أن يقول عنك ، ومن أعدل من وفيّ يعرف بك . وأنت حين تنشر أحق ممن نشرت له بالحديث . فالمنشور له موفّى حقه في عملك وتقدمتك له . ثم في تخليصك كتابه من رقّين : رق الخط ، وما أمدّ أمده ، ورق التحريف ، وما أكدّ كده . أما عنك فالحديث الى ضيق والقلم مقل .

هذا دأب لا أعرف أننا مع الحق فيه . وغيره أولى بنا إن أردنا أن يعلم الناس ، وان يشيع عنا ما نعلم ، وان أردنا غير الضنة . وما علينا من تثريب إن كنا مع النصفة ولم نمل لهوى أو نلن لرغبة .

عرفت هذا الصديق - الناشر حين نزل بدار الكتب المصرية منذ أعوام ثلاثة باحثاً متعرفاً الى مكتوباتها فرأيت وفرة من همة ونشاط . وصحبته على ذلك عاماً إلا أقله فلمست آماله من صدره ، وعرفت أن هذا الصدر العريض يحوي آمالاً عراضاً . ولقيته في أيبته من أوربة بعد أن أجيز على رسالته وأخرج للناس أبا فراس فسررت لهذين التوفيقين .

وآثر أن يجعل له في مصر إقامة ثانية في البحث والتنقيب فغبطني أن يصل الصديق علماً بعلم، وان تكون إجازته وما نال واصلة لا فاصمة .

أتراني جاوزت أم أنا مثير منك همة بهمة ، وناشر صفحة لأرى إزاءها صفحات نقرأ فيها الجد والدأب والمثابرة .

أما عن هذا الكتاب فقد كنت موعوداً به حين ودعني الدكتور سامي الى دمشق في صيف العام الفائت ليتم متمه . وما جهلت الكتاب وما فاتني قدره . فهو للوزير المغربي في أجل ما صدر عنه . أراده صفحة يفيد منها الساسة ليستقيم لهم الأمر . فبصرهم بما عليهم لأنفسهم ، وما عليهم لخاصتهم ، ثم ما عليهم لعامتهم .

وحكمة ذلك أنا كاشف لك عنها في قوله :

« فالسائس الفاضل إنما يصلح نفسه أولاً ، ثم يصلح بسياستها خاصته وما يحملها عليه من الآداب الصالحة لرعيته فينشأ الصلاح وتسود الاستقامة على تدريج » .

والمؤلف بعد هذا مفصل ما أجمل، مورد أدلته وحججه في أسلوب أنت اليه مجذوب. خذ مثلاً قوله « وليس بسائس من خص بحزمه بعض ملكه . ومثل العارض البعيد ، إذا لم يستدرك عاجلاً ، كمثل العضو يسقم من البدن ، فإن تلوفي وإلاَّ سرى فساده في الجسد » .

هذا نمط المؤلف في التعبير يحكي فيه كتّاب هذه البابة ، أمثال ابن المقفع . أما أنه أدنى أو أبعد فرد الأمر فيه الى مقدمة مبسوطه قدم بها الدكتور سامي لكتابه . قال فيها عن المؤلف كثيراً ، بين نقل ودرس . وما أظن القارىء في غنى عن أن يلم بها .

ويسرني أن أضم إلى هذه ثانيةً عن فهم الرجل للسياسة ، فقد يظن بالرأي القديم الظنون ، وقد يُرى أن من الخير أن نلقن عن ساسة الحاضر ، وبذلك نغنى . يقول الوزير المغربي : « ثم يتفقد مدينته بل مدنه كلها ، بضبط طرقها ، ومعرفة من يدخلها ويخرج منها ، والوقوف على الكتب المختلفة إلى أهلها من التجار وغيرهم . وليضبط مدينته ضبط الرجل من الرعية داره . ولا يخرج عنها أحد إلاَّ بجواز ولا يدخلها إلاَّ بإذن . ويقول في موضع آخر : « وأما قائد الجيش فيكون شجاعاً فارساً عارفاً بآلات الجندية ذا حظ من الرأي ويطالب بمعرفة أحوال الجند المضمومين إليه ، ليعرف الحاضر من الغائب ويلزمهم الباب في أكثر الأوقات بالعدد التامة ، ليرهب بذلك رسل الملوك وجواسيس الأعداء » .

هذا طرف من توجيه المؤلف . ولك منه صورة عن عقله، وصورة أخرى عن أساليب السياسة حينذاك . وما نحن من هذه الأساليب ببعيد فالأمور على وصلة أو شبه وصلة .

ونحن إذ ندرس هذا ننتفع به أكثر ما ننتفع في وصل قديم الأمر بحديثه . وما أحوج كل علم أو فن لهذا ونحوه .

هذا هو المغربي المؤلف . وأما عن الدهان الناشر . فقد عرفت مني مقدمته للكتاب أريد أن أزيدك عليها ملحقاً أضافه جمع فيه تراجم المغربي من كتب الأدب والتاريخ . وقد أحصيت له في ذلك ستة عشر مرجعاً ، ثم ضم إليها فهارس مختلفة كشفت عن الكثير مما يحتاج إليه القارىء .

وإذا شئت أن تعرف أين طبع كتابه هذا فاذكر المعهد الفرنسي بدمشق وسالف يده في إخراج أبي فراس لتعرف نشاط هذه المؤسسة وجميل اتجاهها .

وإني اذ أشكر للدكتور الدهان جهده الموفق أسأل الله له عوناً وقوة لتحقيق ما وعد من نشر مخطوطات بين يديه تتصل بالعصر الحمداني وتكشف عن جوانب فيه .

ابراهيم الابياري

عاصفة في صحراء

للاستاذ محمد مفيد الشوباشي — ٢٢٧ صفحة من القطع المتوسط — مطبعة الاعتماد

هذه قصة يقصها الأستاذ الشاعر الأديب محمد مفيد الشوباشي عن بطل من أبطال العرب اسمه سليك شغف بابنة أحد رؤساء العشائر المعادية له فزوجها أبوها منه على مضض وللفتاة ابن عم اسمه زيد يهواها ويثير زواجها حفيظته فيروح يكيد لها ولزوجها . ولها صديقة اسمها سلمى يهواها أخوها خالد ولكنها تهوى زيداً ، وتتضارب في القصة هذه العواطف المتباينة ويدس زيد للبطل سليك كميناً ليغتاله فتصيبه سهام الكمين فيرجع الى منزله ويعرف اخوانه خبر الكمين فيهبون الى نجدته ويقضون على أعدائه ويسارعون الى منزله ليستطلعوا خبره فيظنهم أعداءه مقبلين عليه فيقتل زوجته حتى لا تقع في قبضتهم . ثم يوهمه زيد أنها كانت تخونه فيجن جنونه ويشن الغارة على أهلها . ولكن الزوجة لا تموت بل تشفى من جراحها وتنجلي الحقيقة بعد ذلك ويعود الصفاء وتهدأ العاصفة .

هذه القصة مزدحمة بالحوادث والحوار والمناقضات والمشاهد وفيها حب وغزل وطبيعة . وفيها بغض وحقد وحسد ، وفيها كيد وحرب وقتل . وقد ذهب المؤلف يستعرضها مسرعاً في نثر سهل فياض حتى اذا وقف مواقف العاطفة الجامحة انتقل من النثر الى الشعر في قواف من السهل الممتنع تعد من أرق الشعر وأبلغه . وهذه أول مرة في اللغة العربية تمتزج في

القصة المشاهد المسرحية بسياق القصص . ولعمري لا يتاح مثل هـذا المزج إلاّ لمن كان كاتباً متفوقاً وشاعراً متفوقاً . وفي الأنشودة التي نظمها المؤلف لتغنى في حفل زواج بطل القصة مثال من أمثلة هذا الشعر الرائع :

اليوم زفَّ الى الجما   ل الفضل والشرف الرفيع
اليوم تمّ الحسن إذ   زفَّ البديع الى البديع
إن زانها حسن الأنوثة   زانه بأس الرجال
فجمالها وجماله اجتمعا   ليكتمل الجمال
إن يأمرا أمراً يطأ   طىء صاغراً لهما الزمان
من سيفه نرجو الأمان   ومن لواحظها الأمان

وشعر القصة كله على هذا المثال البديع من الصفاء والسهولة وتجاري هذه القوة في النظم قوة الحوار وتنوعه وتقارع الأجوبة والأسئلة، ولا عجب في هذا فان المؤلف يجمع بين الأديب والمحامي فهو يعرف كيف يهاجم خصمه ويدفع حجته، وهو يعرف مكامن الضعف في النفوس البشرية فيدخل منه عليها . وينال منها . ويسعفه خيال الأديب والشاعر ليلبس شخصية كل بطل من أبطال قصته ويجري على لسانه ما يعبر به عن شعوره وأفكاره .

وبعد فالقصة تجري حوادثها في عهد الحسين بن علي رضي الله عنه كما أشار المؤلف الى ذلك . وانما ذكرت هذا لأدل على أن ازدحام الحوادث منع من تصوير ذلك العهد والتوسع في وصف البيئة والعادات . ولو ذهب المؤلف اليه لطالت القصة طولاً وضاقت ضيقاً قد يمله عامة القراء، وقد لا ترضى عنه خاصتهم ، ووددت في بعض اجتماعات أشخاص القصة لو لم يدخل « الخادم يحمل إناء يغص بأقداح من القهوة » لأن القهوة لم تكن أيامئذ معروفة في الحجاز ، كما وددت أن زيداً ابن عم الفتاة لم يغادر المدينة المنورة الى انطاكيةَ وحلب لأن في سفره اقتضاباً يضعف السرد ويشتت ذلك ذهن القارىء . ووددت أيضاً لو لم تجر بعض تعبيراتنا العصرية على لسان بعض أشخاص القصة كالجمال المثالي والضحايا وما شاكل هذا من معان لم يألفها العرب لذلك العهد .

ان هذه الهنات لا تمس جوهر القصة ولا تضعف حبكها وسردها واشراق ديباجتها وبراعة شعرها واني اذ أهنىء الأخ الكريم الأستاذ الشوباشي على قصته هذه أرجو أن يتحفنا بتمثيلية شعرية في قوة المشاهد التي أدارها ادارة بارعة ولعله مجيب باذن الله .

خليل شيبوب

فهرس الجزء الاول

من المجلد الخامس عشر بعد المائة

١ طوفان القدم : الجهد الأخير في سبيل التوفيق واكمال النصر للعلم : اسماعيل مظهر.
١٣ ذكريات في السودان : خليل ثابت بك
١٦ من الأعماق (قصيدة) : عدنان الذهبي
١٧ جمعية الأمم المتحدة : وديع فلسطين
٢٤ الشوق القديم (قصيدة) : عدنان مردم بك
٢٥ نظرات في النفس والحياة : نظرات جوتا او جيتا : ع . ش
٣٧ اضحكي يا نفسي (قصيدة) : يوسف جبرا
٣٨ النقد والتعقيب في الصحف والمجلات : مصطفى عبد اللطيف السحرتي
٤١ النظام الاقطاعي في عهد الرعامسة : الدكتور باهور لبيب
٤٧ جويا : محمد رجب البيلي
٤٩ حافظ وشوقي : عبد السلام رستم
٥٧ سوق الغرور (قصة) : مبارك ابراهيم
٦٥ ابنة القاتل : للكاتب الفرنسي م . جيرارديه : ترجمة الآنسة نعمت حسني

٧٠ المراسلة والمناظرة * رهين المحبسين : رشيد السعد
٧٢ اخبار علمية * عداد جيجر : عوض جندي
٧٦ مكتبة المقتطف * كتاب في السياسة : ابراهيم الابياري : عاصفة في صحراء : خليل شيبوب

لحق المقتطف

١—٤٨ تاريخ الادب السرياني من نشأته الى الفتح الاسلامي : بقلم الدكاترة محمد حمدي البكري ومراد كامل